الدكتور/ عبد الستار الراوى

التصوف و الباراسايكولوجى

مقدمة أولى فى الكرامات الصوفية و الظواهر النفسية الفائقة





٤٢ سوق الكتاب الجديد بالعتبة - القاهرة
ت ٥٩١٩٧٢٦ / ٠١٢٣٩٢٠١٩٦

د. عبد الستار عز الدين الراوي

التصوف

و الباراسايكولوجي

مقدمة أولى
فى
الكرامات الصوفية
والظواهر النفسية الفائقة

الناشر

دار الخلود للتراث

٤٢ سوق الكتاب الجديد بالعتبة — القاهرة

ت: ٥٩١٩٧٢٦ - ٠١٢٣٩٢٠١٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: التصوف والباراسايكولوجى

اسم المؤلف: د/ عبد الستار الراوى

الناشر: دار الخلود للتراث

العنوان: ٤٢ سوق الكتاب الجديد بالعتبة–القاهرة

الطبعة: الأولي يناير ٢٠٠٦ م.

رقم الإيداع بدار الكتب: ٢٠٨٠١ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977-6177-04-2

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشـــر
ولا يجوز نشر أى جزء من هذا الكتاب أو تخزينه
أو تسجيله بأي وسيلة أو تصويره دون موافقـــة
خطية من الناشر.

دار الخلود للتراث

ت: ٠١٢٢٩٢٠١٩٦ & ٥٩١٩٧٢٦ & ٥٠٦٩٥٨٢

E-mail: dar_alkholoud@Hotmail.com
E-mail: dar_alkholoud@Yahoo.com

مقدمة

إن فكرة تقديم هذا الكتاب، ليست أكثر من محاولة علمية أولية تسعى إلى استقصاء القسمات المشتركة للظواهر المفترضة (فوق الحسية) بين التصوف والباراسايكولوجي.

وأن البحث التقدمي المعمق فى تناول ما يدعى (بالكرامات) والقدرات النفسية الفائقة من شأنه أن يهم فى أغناء الحوار الدائر حول هذه الظواهر المقترضة، فى مراكز البحث النفسية فى الوطن العربي والعالم .. وأن مما يطرحه هذا البحث أفكار أو يقدمه من آراء. أن يتوصل إليه من نتائج، ليس ألا مقدمة أولية تنفتح على احتمالية علمية لا حدود لها فى تعديل أو تهذيب هذا النص، مراجعة وتقويماً، وهى تقاليد يؤمن بها كاتب هذه السطور طبقاً لحرية الرأي ومبادئ الحوار المتكافئ، وقواعد البحث العلمي. انطلاقاً فى آن ولوج عالم المستقبل وثورة المعلومات لم يعد يكتفى بنص ذي بعد واحد، أو رؤية قائمة بذاتها، فالاغناء الموفى المتعدد المصادر، باتجاهاته ومدارسة المختلفة، والمتناقضة أيضاً فى عالم اليوم إنما يؤكد بديهية بالغة البساطة وهي: أن العالم لم يعد للوحة الأبعاد الثلاثة، وإنما هو البعد الرابع، ولعل الإنسان هو البعد الخامس فى اللوحة المعرفية الراهنة .مثلما هو البعد المتصل الذى لا يزال يمتد منذ

الأزل وحتى الآن وإلى المستقبل .. وهو الآلة الكبرى التى أودعت فيه أسرار العلم، وأسرار الجمال، وأسرار المستقبل.. إن هذا البحث يحاول أن يبدأ من أصل النص، وفى داخله، بصرف النظر عن أىٍّ من الأفكار المسبقة والنتائج المعدة سلفاً (ضد) أو (مع)، سواء بسواء، من أجل تحديد البدايات الصحيحة.

ولذلك فإن تبني نتائج الغير التى فرضتها العاطفة المفهمة بالمواقف القطعية (الكل) أو (اللاشيء)، والتى لا يعترف أصحابها برأي ثالث من شأنه الوقوع فى فخ (الاستعارات الآلية) وتبني وجهة نظر مغايرة للواقع تحت اسم (الحداثة) وسواء تعمد هؤلاء المدافعون عن هذا المنهج، أو لم يتعمدوا، فأنهم يحاولون فرض آرائهم ومصادرة منهج الآخر الوقوع تحت سحر النصوص والتجارب والأسماء الأجنبية، ولعل مثل هذا الاستنساخ شبه الميكانيكي، يطبع نقطة البداية، فتصبح والحالة هذه مجرد (نقلة نصوص) و(رواة حكايا) نحتوى ونتبنى بغير دليل أو تجربة أو برهان نتائج عمل الآخر، بل تأخذ البعض إلى أقصى حدود الحماسة لها، بالدفاع أحيانا حتى فى أخطائها وخطاياها. دن أن توفر فى المقابل جمعوا نقدياً لعملنا، فندور حول أنفسنا أو فى الحد الأدنى نجرى استنساخاً مشوهاً لمعطيات عقل آخر ينتمي إلى بيئة حضارية لها مناخها المعرفى الخاص بها .

لتجنب الوقوع فى مغبة الأحكام القْبلية، والآراء المسبقة، يحاول هذا النص أن يبدأ خطوته الأولية من المفاهيم والمدركات

والمصطلحات بوصفهما مفاتيح أساسية للاقتراب من الظواهر المفترضة فى التصوف والباراسايكولوجي على سبيل المقاربة، والمقارنة وبناء النتائج النسبية القابلة للتعديل والنقض .. وفى كل الأحوال فأن تجربة الكتابة فى مثل هذا الضرب مرة (المعرفة) المتعالية أو الظواهر المفترضة، أمر تعتريه جملة من المعضلات إجمالها بالآتي:

١. تقتضي الإحاطة النسبية بأصول التصوف، دراسة اتجاهاته ومدارسه، وفهماً عميقاً لمقاصده ومعرفة أذواقه ومواجيده، فالمتأمل يلاحظ فى حياة الصوفية، وفى ما عبروا به عن مذاهبهم، أن النفس الإنسانية هي المحور الرئيسي الذي تدور عليه رياضاتهم، ومجاهداتهم، وأذواقهم ومواجيدهم، فالتصوف، من هذه الناحية ليس إلا رياضة للنفس، وكبحاً لجماحها، ومجاهدة لأهوائها وتنقية للقلب من أدران الشهوات، وشوائب النزوات، والتصوف بعد هذا كله ذوق ووجد، وفناء عن الآنية، وبقاء فى الذات العلّية، واتصال بالمنبع الأزلي الأسمى الذي يفيض على الكون، كل ما فيه من آيات الحق والخير والجمال. إن الاحاطة بكل جوانب التصوف أمر متعذر مثل من يريد أن يعرف كل شيء عن التصوف دون أن يسلك طريقه كمثل الذي يتفحص ثمرة لم يذق بعد طعمها ولا عرف نكهتها.

٢. استقصاء أصول الباراسايكولوجيا والتعرف على مقدماتها الأساسية والأهم من ذلك كله، هو الموقف من الظواهر فوق الحسية نفياً

وتأييداً، أو على الأقل توفر قدر معين من النظرة المحايدة.

ومع ذلك فإن المناقشات حول الظواهر فوق الحسية غالباً ما تأخذ شكلاً عاطفياً متطرفاً، فهي إما مرفوضة رفضاً قاطعاً، أو مقبولة على علاتها.

ويزيد من ذلك أنها أصبحت من محاور الجدل المضنّي بين ذوي الاتجاهات المثالية والمادية، أي أنها أصبحت مشكلة في الفلسفة وفي السياسة أيضاً، فالمثاليون يعتبرونها شواهد حية ماثلة لم يستطع العلم التجريبي حتى الآن أن يجد لها التفسير العلمي المقبول، والماديون يوصدون أبوابها هروباً، دون أن يقدموا براهينهم على نفيها.

ولعل أقوى حجة يسوقها خصوم الباراسايكولوجيا، هي عدم القدرة على استخدام المنهج الإحصائي التقليدي للظواهر فوق الحسية.

إن ما يتقبله العلم ينبغي أن يتميز بخاصية القدرة على التكرار والحدوث، عندما يقوم أحد العلماء بتجربة موضوع البحث مرة ثانية، والتجربة يجب أن تكون ممكنة الوصف بشكل كامل، ومن ثم تُمْكن إعادتها أمام الباحثين الذين يجب أن يحصلوا على النتائج نفسها، وذلك قبل أن تتحول تلك التجربة إلى حقيقة علمية مدققة ومبرهن عليها.

إزاء هذا المنطق العلمي الصارم فإن المشكلة الرئيسية التي تثيرها الظواهر الخارقة، هي أنها تبدو متناقضة مع مفهومات

محددة، أصبحت أساسية فى حضارة وثقافة هذا العصر، مثل مفهومنا عن الزمن والسببية والنسبية، والطاقة والذهن والمادة.

وفى ضوء ما تقدم تتعين إعادة المعضلة عبر السؤال الآتي :-

هل توجد فعلاً ظواهر خارقة، وهل يمكن الاستفادة منها فى شؤون الحياة؟ ولماذا؟ ولذلك نخاطر بالارتطام ببعض مفاهيمنا المادية التي تبدو لبعضنا ثابتة ومقدسة.

إن الاعتراف بوجود ظواهر خارج نطاق وجهة النظر التقليدية فى الطبيعة وعلم النفس أمر يحاول أصحابه أن يثبتوا جدواه وأننا سوف نتحقق منه فى الوقت المناسب عندما تستكمل أدوات المعرفة العامة.

٣. أن الكرامة نشأت وترعرعت فى أوساط العامة، بعيداً عن الحس النقدي الصوفي، فالكرامة فى أغلب الأحيان من «المرويات» التي تتناقلها مجالس المريدين، ويرجع سبب نشأتها هذه إلى أن «الولي» أو «الصالح» يكتم الكرامة، فبالتالي تتناقل وتتسرب بعيداً عنه، محملة بالكثير من الأساطير والخرافات، مما يجعل هذه الطائفة هدفاً للنقد.

فصعوبة التحقق والتدقيق للنصوص والإشارات والحالات الروحية، تقع خارج المعطيات العيانية المباشرة، فالبعض منها محض حكاية، وبعضها الآخر روي فى زمن فائت، والقسم الأكبر من (الكرامات) شخصي، ذاتي يصعب الوصول إليه أو التأكد من صحته.

ولكن يجب أن نعترف بأنه لم تتوفر بعد النظرية الكاملة التي

يمكن فى ضوئها تفسير أي واحدة من الكرامات أو ظواهر الإدارك فوق الحسي وفق المنهج العلمي التجريبي المعترف به فى أوساط الباحثين والعلماء.

٤. أن الأعمال التي توصف بأنها (خارقة)، وهي عبارة عن موهبة قوية تظهر نفسها فقط ضمن شروط وأجواء يصعب فهمها أحياناً، كما أن التجارب التي تجري لإثبات صحتها نادراً ما تقدم نتائج متناسقة ومترابطة، ضمن المتداول من منهجية البحث العلمي.

٥. مشكلة استقصاء الجذور النفسية المشتركة بين التصوف والباراسايكولوجي ومحاولات رصدها استنباطاً، واستنتاجاً فى حدود تحليل الخبرات المتماثلة نسبياً، وتوصيف عام لماهياتها.

وبعد:

إن حيادية كاتب السطور فى عرض وتحليل ونقد المادة البحثية لا تحول دون إبداء تحفظه العلمي على الخلط الفاضح بين موضوع الدراسة فى جهة وإقرارها من جهة أخرى.

فالكرامات لدى الباحث محض حالات مفترضة وليست وقائع ثابتة والأمر ذاته بشأن بعض الظواهر النفسية الفائقة التى لا يزال الكثير منها قيد البحث والدراسة.

فى مقابل الدعوة إلى ضرورة التثبت من أية حالة أو ظاهرة من خلال الفحص والتجربة والتقويم، وتلك هى واحدة من مهام العقل النقدي الذى يواصل البحث عن أجوبة شافية لمئات الأسئلة الحائرة

فـى حياتنـا التـى قـد تتحـول فيـه الكـثير مـن مجهـولات اليـوم إلى معروفات، عندما يمتلك العقل أدوات التفسير المعرفية اللازمة وصـولاً إلى القول الفصل بين التصورات والتصديقات .

عبد الستار الراوي

القاهرة الجديدة، شتاء ٢٠٠٥

المبحث الأول

المصطلحات والمفاهيم الصوفية

مدخل

إن الإحاطة بمبادئ وأحوال ومقامات التصوف ليست من قبيل المتعارف عليه فى العلوم الأخرى، والحق أن التصوف يقوم فى جوهره على أساسين:

الأساس الأول: وهو التجربة الصوفية، فيقتضي القول بملكة خاصة غير العقل المنطقي وهي التي يتم بها هذا الاتصال، وفيها تتأحد الذات والموضوع، وتقوم فيها اللوائح واللوامع مقام التصورات والأحكام والقضايا فى المنطق العقلي. والمعرفة فيها معاشة، لا متأملة. ويغمر صاحبها شعور عارم بقوى تضطرم فيه تغمره كفيض من النور الباهر، أو يغوص فيها كالأمواج العميقة ويبدو له أيضاً أن قوى عالية قد غزته وشاعت فى كيانه الروحي، وهو لهذا يسميها واردات، ونفحات علوية، وفى مرتبة أدنى تدعى خواطر. ومن هنا يشعر صاحب هذه التجربة بإثراء فى كيانه الروحي، وتحرر فى أفكاره وخواطره، وانطلاق لطاقات حبيسة عميقة الغور فى نفسه. ويصحب هذه الأحوال أحياناً ظواهر نفسية عادية مثل الشعور بأن ثمة هواتف وأصواتًا يسمعها، أو يتخيل رؤى خارقة، أو الإحساس بجذبات ومواجيد، وقد تفرط أحياناً فتصبح أحوالاً غير سوية تماماً

كأنها نوبات هستيرية آو صرعات. وقد يستعان على استدعاء هذه الأحوال بوسائل صناعية، مثل الموسيقى (السماع على حد تعبير الصوفية) والرقص آو تحريك البدن بطريقة منتظمة وبإيقاع متفاوت الشدة. ولهذا كان للأحوال والمقامات- بالمعنى الاصطلاحي- دور آساسي جدًا فى كل تصرف.

ويدخل فى هذه التجربة الباطنة عنصر سلبي هو محاولة الكشف عن دقائق الرياء والشهوة الخفية والشرك الخفى ووساوس الشيطان والنفس الآمارة بالسوء، والخواطر المذمومة.

الأساس الثاني: ويقوم فى توكيد المطلق، أو الوجود الحق، أو الموجود الواحد الأحد الذي يضم فى حضنه كل الموجودات. وفى إمكان الاتصال به اتصالاً متفاوتاً فى المراتب حتى يصل المرء إلى مرتبة الاتحاد التام، بحيث لا يبقى إلا هو. ومن هنا كان طريق التصوف سلماً صاعداً ذا درجات نهايتها عند الذات العلية، وكان سفراً يرقى فى معارج حتى ذروة الاتحاد.

أما لغة التصوف، فأنها من الغموض والتعقيد بحيث تترك القارئ ذاهلاً حيران لوجود مصطلحات إشارية وعبارات رمزية، لم يتعود على سماعها أو قراءتها من قبل: ونعني بذلك أن للعبارات الصوفية عادة معنيين:

أحدهما: يستفاد من ظاهرة الألفاظ.

حيث لم يجد الصوفية بداً من الرجوع إلى الألفاظ التى استخدمها الفقهاء، فاستعاروا منها فى شتى المواطن مصطلحات حوروها.

ومن قبيل ذلك أن شقيقاً استعمل لفظ (التوكل) والمصري وابن كرام لفظ (المعرفة)، والمصري والبسطامى لفظ (الفناء) وهو ضد (البقاء)— (انظر سورة الرحمن، الآيتين ٢٧، ٢٦). والخراز لفظ (عين الجمع)، والترمذي لفظ (الولاية) ألخ .. وقد انتهج التصوف الإسلامي فى عهده الأول هذا السبيل فألقى بنفسه فى مزالق ما وراء الطبيعة التى عرض لها المتكلمون الأوّل، وفى مسائل الجوهر الفرد والمادية والاتفاق، وهى مباحث تنكر روحانية النفس بل بقاءها، وتخلط بين الوحدة الوجودية والوحدة العددية مما ينبني عليه بالضرورة أن تلك المدرسة الصوفية الأولى فى هرطقات الحلولية.

... وعندما تسربت الفلسفة اليونانية إلى العالم الإسلامي وأخذ سلطانها يزداد باطراد منذ أيام (الإدرية) القدامى والرازي الطبيب إلى عهد ابن سينا، كان من نتيجته أن استخدمت فى القرن الرابع للهجرة، مصطلحات ميتا فيزيائية أدق من سابقها، يفهم منها أن الروح والنفوس جواهر غير مادية، .. وأن هذه المصطلحات اختلطت بالآلهيات المنحولة لأرسطو (ومُثُل) أفلاطون وفيوصفات أفلوطين.

وقد كان لهذا كله أثر بالغ فى تطور التصوف. ومثال ذلك: حيّرة شيوخ التصوف لهذا العهد بين ضروب ثلاثة فى تفسير لفظة الاتحاد الصوفى تفسيراً فلسفياً:

(١) فالاتحادية – من ابن مسرة وأخوان الصفاء إلى الفارابي – يقولون: آن الاتحاد هو تأليف معان بتأثير العقل الفعال (والعقل الفعال هو الفيض الإلهي، والفيض الإلهي هو النور المحمدى عند القرامطة والسالمية) على النفس المنفعلة.

(٢) الاشراقية: (من السهروردى الحلبي والجلدْكي إلى الدواني وصدر الدين الشيرازى– يقولون: بتجوهر النفس وتألف النور الإلهي فى اشراقات العقل الفعال.

(٣) الوصولية:- من ابن سينا إلى ابن طفيل وابن سبعين– يلتزمون القول بأن النفس تصل إلى موافقة الحق، ومن ثم يشعر بوجود جامع لا تكثر فيه ولا تعدد ولا تفرقة بأي وجه من الوجوه.

* وفى القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) يبدأ العهد الثالث والأخير فى تطور مفاهيم وألفاظ مذهب التصوف لدى أبرز مدارس الصوفية لهذا العهد هى المدرسة "الوحدتية" أو "الوجودية" لأنها تدعو إلى: وحدة الوجود، ويزعم أصحاب هذه المدرسة أن لمذهبهم أصلاً قديماً فهم يؤولون آيات من القرآن (البقرة ١٠٩ القصص ٨٨، ق ١٥) مما يفرز مذهبهم .. ألخ.

والآخر: بالتحليل والتعمق، وهذا الأخير يكاد يستغلق تماماً عن من ليس بصوفى.

وصعوبة فهم كلام الصوفية ترجع إلى أن التصوف حالات

وجدانية خاصة يصعب التعبير عنها بألفاظ اللغة، وليست شيئاً مشتركاً بين الناس جميعاً، فالتصوف خبرة ذاتية، وهذا ما يجعل منه شيئاً قريباً من الفن، خصوصاً وأن أصحابه يعتمدون فى وصف أحوالهم على الاستبطان الذاتي، وأي فلسفة هذا شأنها يصعب فهمها على الغير، لذلك توصف لغتهم بـ (الرمزية)، حيث يصطنع الصوفية فى التعبير عن مواجيدهم (الإشارة) بدل (العبارة)، ويعتمدون فى تصوير ما عرض لهم، وانكشاف لسرائرهم على (التلويح) دون (التصريح)، وإنما اصطنع الصوفية الإشارة والتلويح وآثروهما على العبارة والتصريح، لأن مشاهدات القلوب، ومكاشفات الأسرار لا يمكن أن يعبر عنها على التحقيق فى الألفاظ والعبارات من ليس من الصوفية بشيء، ولا من أهل الأذواق وأرباب الأحوال فى كثير أو قليل وإنما تعلم هذه المشاهدات وتلك المكاشفات بالمنازلات والمواجيد، ولا يمكن أن يعرفها ويتذوقها أو يثق فيها ويطمئن إليها إلا من تقلبت نفسه بين المقامات وحلت بها الأحوال، وخضعت حياته النفسية والعقلية والإرادية لسلطان الوجد.

وهذا يعني أن أخص ما تمتاز به الرياضات والمجاهدات والأذواق والمواجيد الصوفية، هو هذه الصبغة النفسية التي لا تكاد تنفك عن أي من الصوفية المتحققين، ولا عن أي أثر من أثارهم التي يترجمون فيها عن حياتهم الروحية، ويصورون فيها أحوالهم تصويراً قد يخرج عند بعضهم من حد المألوف من الألفاظ والعبارات، حتى

يخيل لمن ليس منهم أن هذا التصوير إن هو إلاّ ضرب من الوهم أو الخيال، مما يقتضي فى مقابل ذلك، الأنس والائتلاف بلسان الصوفية فى محاولة الاقتراب، من منطقهم الخاص، الذي هو فى عرفهم: منطق ذوي الألباب. بعبارة آخرى فإن تعريفات الصوفية تفيض معانيها باستشعارات الصوفى ورحلته الجوانية، وتعبر عن أسفاره النفسية فى أحواله الذاتية..

المصطلحات والمفاهيم الصوفية

الألف:

إشارة يشار بها إلى الذات الأحدية، أي: (الحق تعالى)، من حيث هو آول الأشياء وأزل الأزال.

اتحاد:

اندماج الذاتين لتصير ذاتاً واحدة، وهي حال الصوفى الواصل، فى مقابل انتفاء البعد الرابع (الزمن)، ويمثل الاتحاد أعلى مقامات النفس لدى الصوفية، ويصبح الواصل معه كأنه والبارئ شيء واحد، فيخترق الحجب، ويرى ما لا عين رأت ويسمع ما أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

اتصال:

مكاشفات القلوب، ومشاهدات الأسرار: مفهوم صوفى يناظر مصطلح الرؤية الذهنية، القدرة على الاستشفاف.

إرادة: أن يعتنق الإنسان الشيء، ثم يعزم عليه، ثم يريده، وينفذه نحو إتيان الفعال الخارقة.

أرباب القلوب:

هم أهل الحقائق (مستودع الأسرار الإلهية. . وهم عين الله

وقدرته). من العارفين والمتحققين. وأهل المجاهدات والرياضات والمتقربين بأنواع الطاعات ظاهراً وباطناً.

الإشارة:

مما لا يتأتى للمتكلم الإبانة عنه بالعبارة لكونه لطيفاً فى معناه. وقال الشبلي: إشارة قلبي كما يرى الذي لا يراه جفني.

إشراق:

حدوث الإلهامات من الله تعالى، للصوفى بطريق مباشر، وعلى باطنه، أو قلبه.

وقد عرف الإشراق فى الفلسفات الشرقية القديمة، حيث يرى أصحاب هذا المذهب بأنه أداة المعرفة هو النور الباطني، أو (الحدس الوجداني)، غير العقلي.

إلهام:

ما يلقى فى الروح بطريق الفيض . وقيل: ما وقع فى القلب، وهو أحد مصادر الإدارك فوق الحسي.

إيمان: للإيمان والمعرفة ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: إيمان العوام وهو إيمان التقليد المحض.

المرتبة الثانية: إيمان المتكلمين، وهو مخروج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة إيمان العوام.

المرتبة الثالثة: "إيمان العارفين، وهو المشاهد بنور اليقين".

بصيرة :

قوة للقلب منورة بنور القدس، ترى بها حقائق الأشياء وبواطنها، وهي بمثابة البصر الذي ترى به صور الأشياء وظواهرها، ويسمى القوة القدسية.

ويستغرق هذا المصطلح الرؤية الذهنية والرؤية التنبؤية.

تجريد :

(١) سيكولوجيا: عزل (صفة)، آو(علاقة)، عزلاً ذهنياً وقصر الاعتبار عليها، والذهن من شأنه التجريد، لأنه لا يحيط بالواقع كله، ولا يرى منه إلا أجزاء معينة فى وقت واحد، وتسوقه التجربة أيضا إلى التجريد لأنها تفرض له الواقع مجزءاً، أو يظهره على صفة ما.

(٢) فى المنطق الصوري: عملية ذهنية يسير فيها الذهن من الجزئيات والأفراد إلى الكليات والأصناف.

(٣) عند المتصوفة: إحاطة الاغيار والأعيان عن السر والقلب، فقد تكشف الحجب ويكون الاتصال.

أو بمعنى أخر : ما تجرد للقلوب من شواهد الألوهية، إذا صفا من كدورة البشرية. . الخروج من دائرة الأبعاد الأربعة، إلى رحاب الميتافيزياء.

تجلّ:

ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب وهو معنى يقترب من مفهوم (الاستبصار) فى الباراسايكولوجيا.

تدبير:

النظر فى العواقب، أو إجراء الأمور على علم العواقب، وهو ما يماثل (التنبؤات المستقبلية).

تصوف:

(١) سيكولوجيا: حالة يشعر فيها المرء بأنه على اتصال بمبدأ أسمى.

(٢) فلسفياً: نزعة تعول على الخيال والعاطفة أكثر ما تعول على العقل والتجربة الحسية.

(٣) دينياً: علم القلوب الذي يبحث فى أحوال النفس الباطنة، ويسعى إلى تصفية القلوب، والطهر والتجرد ويؤدي إلى الاتصال بالعالم العلوي.

والتصوف: تصفية القلوب عن مواقف البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة الدعاوى النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقة.

جذب:

عند الصوفية حال من أحوال النفس، يغيب فيها القلب عن

علم ما يجري من آحوال وتغشاه غبطة شاملة يتصل فيها بالعالم العلوي، ويعد عند أفلوطين الخير الأسمى.

التفلسف:

(١) ويسميه بعض متصوفة: الوجد.

(٢) التفلسف قسمان:

(أ) – قسم تجريدي عقلاني ينتهي إلى استخلاص المعقولات من الظاهرات.

(ب) – قسم حدسي كشفي يفجر عين البصيرة في الذات، فيكون صاحبها ملهماً. ومن أبرز ممثلي هذا النوع من التفلسف، هما الغزالي وابن عربي.

الجوع:

الجوع من أعلام الهدى، وحلية أهل الله، وأعني بذلك جوع العادة، وهو الموت الأبيض.

جنة القلب:

الجنة معنوية: وهي من معطيات التجليات الإلهية، حيث يرى العارف ويلمس ويشم ويتوق ما يتمناه وما يطمح إليه، منفلتاً من الحتميات الكونية المادية.

الحال:

معنى يرد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب كالطرب

والحزن والشوق والهيبة، فالأحوال مواهب، والمقامات مكاسب بمواهب إنما تنال بالكسب مع الموهبة. والعبد بالأحوال يترقى إلى المقامات، ولا يلوح له حال من مقام أعلى من مقامه إلا وقد قرب ترقبه إليه.

الحب الإلهي :

بهجة وليدة كمال معرفة الله، يشعر بها العارفون من الصوفية وسبيلها أن تقصي نفسك من كل ما يشغلك عن الله، وأن تملأ قلبك به، وكلما كان الحب أقوى، كانت السعادة أعظم.

الحجاب :

كل ما يستر مطلوبك، وهو عند أهل الحق انطباع الصور الكونية فى القلب المانعة لقبول تجلي الحق، والحجاب نوعان:

حجاب نوراني: هو حب الجنة والثواب والدرجات والحور والقصور.

حجاب *ظلماني:* كحب الزوجة، والأولاد والمال والرياسة.

الحضرة :

إشارة إلى النص القرآني «كن» فى صورة الإرادة الكلية، ويعد إتيان الكرامات من مظاهر تجلياتها.

الحق :

هو (الله) استناداً إلى النص القرآني: «ذلك بأن الله هو الحق».

وقوف العبد بدوام الانتصاب بين يدي سيده الذي آمن به،

فلو تخلل القلب شك أو ريب فى من آمن به اضمحل الإيمان فبطل.

حقيقة الحقائق :

هي المرتبة الآحدية الجامعة بجميع الحقائق وتسمى حضرة الجمع وحضرة الوجود.

الحياة :

الحياة السارية فى كل الموجودات من خلال المقدمتين الآتيتين:

المقدمة الأولى : كل شيء يسبح بحمد الله.

المقدمة الثانية : كل من يسبح فهو حي.

النتيجة : كل شيء هو حي.

الحيرة :

بديهية ، ترد على قلوب العارفين عند تأملهم وحضورهم، وتفكيرهم، وتحجبهم عن التأمل والفكر. والحيرة هي الغرق فى بحار العلم بالله ، مع دوام النظر إلى توالي تجلياته تعالى، ومعرفته فى كل تجل، وهي الغاية التي ينتهي إليها النظر العقلي والشرعي، وكل سلوك فى طريق المعرفة بالله تعالى.

الخاطر :

حركة تظهر فى القلب وتطوف به ، ولا تلبث بل تزول بخاطر آخر مثله.

وقال الجنيد البغدادي (أن الخاطر الصحيح أول الخاطر).

وقال بعضهم: (الخاطر تحريك السر لا بداية له).

والواقع: ما يثبت ولا يزول بواقع آخر.

والقادح: قريب من الخاطر، إلا أن القادح لأهل الغفلة والخاطر لقلوب أهل اليقظة.

وقيل الخاطر: ما يرد على القلب من خطاب.

وهو على أربعة أنواع:

(١) رباني: لا يخطيء أبداً.

(٢) ملكي: وتعبيره: (الإلهام).

(٣) نفساني: ويسمى: (هاجساً).

(٤) شيطاني: ويطلق عليه الوسواس.

الخلوة:

الانقطاع الحقيقي عن الخلق في مكان.

ويقابلها (التأمل) MEDITATION وطبقاً للباراسايكولوجي، فإنه يضع عدداً من الأساليب هدفها الوصول إلى حالات الوعي المتغيرة أن معظم الأساليب التأملية هي عبارة عن طرائق تعلمنا كيفية تسكين اهتياج العقل.

الدهش :

هيبة من المحجوب تصدح قلوب المحبين وقيل: «حب من أهواه قد آدهشني لا خلوت الدهر من ذاك الدهش».

ذهاب :

آتم من الغيبة وهو آن تغيب القلوب عن حس كل محسوس بمشاهدة المحبوب.

رضا :

(١) سيكولوجياً : حالة نفسية من الراحة والطمأنينة.

(٢) أحد المقامات أو الأحوال عند الصوفية ، وهو نهاية التوكل والرضا ، شارة الصابرين والمؤمنين.

(٣) والرضا : نظرة صوفية تذهب إلى أن الكمال الروحي ضرب من الحب والتأمل فى إرادة الرب، فيرضى عن كل شئ. وللفكرة شأن فى الأخلاق الرواقية.

رؤية :-

(١) ظهور سر الغيب رموزاً على شاشة الخيال والرؤية الخطوة الثانية من رحلة الصوفى الكاشف صاحب الذوق.

أما الخطوة الأولى ، فهي الرؤيا الصالحة التى تأتي كفلق الصبح. والطريق إلى الرؤية هو ما يسمى بالمفتاح أو الفتح، وهى مشروطة بحدوث الطهارة التامة من كافة الذنوب ووقتها منوط بالله

تعالى وهي تقارب الآربعين ولابد لصاحب الرؤية من حساسية خاضعة ورهافة نفسية وميل إلى التصوف والآداب الظاهرة والباطنة ولابد له من علم يؤهله لخوض بحر علم الرموز وهو أصعب العلوم.

رؤيا :

قال النبي محمد (ﷺ): **((الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، فإن رأى أحدكم رؤيا يكرهها فـ (ليتفل) عن يساره وليتعوذ فإنها لن تضره))** وقال: **((من رآني فى المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل فى صورتي)).**

ومعنى الخير فى تلك الرؤيا، رؤيا صدق وتأويلها حق.

وتحقق الرؤيا خواطر ترد على القلب، وتقابل الرؤيا فى الباراسايكولوجي «الحلم الصادق».

ويعرف بأنه حلم خارق ظاهرياً، لأن بعض تفاصيله تعطي معلومات عن أحداث لا يمكن معرفتها عادة من قبل صاحب الحلم.

(٢) قال بعضهم: إن الله يرى بالأبصار فى الآخرة، ويراه المؤمنون دون الكافرين، لأن ذلك كرامة من الله تعالى.

وجوز البعض: الرؤية بالعقل وأوجبوها بالسمع.

وقيل: لا يرى فى الدنيا بالأبصار ولا بالقلوب من جهة الإيقان.

واختلفوا فى رؤية النبي (ﷺ) لربه ليلة الإسراء، فقيل لم يره ببصره، ومن هؤلاء: الجنيد والنوري والخراز.

وقال بعضهم: رآه وأنه خص من دون الخلائق بالرؤية ومنهم:

أبو عبد الله القرشي، أبو بكر الشلبي.

وقال آخرون: رآه بقلبه ولم يره ببصره.

وزعم بعضهم: أن رؤية الله ممكنة فى الدنيا ومنهم البسطامي.

الرمزية:

إن الصوفى لا غنى له عن لغة الرمز والإشارة واصطناع أساليب التمثيل والتصوير لكي يترجم عن أحواله ويعبر عن مواجيده وأذواقه مهما يكن فى لغة الرمز من قصور عن التعبير، لأن موضوعات تجاربه خارجة عن نطاق الموضوعات الحية العقلية التي تعبر عنها اللغة الوضعية الاصطلاحية.

وقد يقال أن الصوفية لجأوا إلى الأسلوب الرمزي لأنهم أرادوا أن يحتفظوا لأنفسهم بأسرار ضنوا بالإفصاح عنها على غيرهم، أو أنهم اتخذوا من الرمزية ستاراً يخفون وراءه بعض معتقداتهم.

السحر:

(١) السحر من يزعم إحداث آثار مضادة لقوانين الطبيعة بواسطة طقوس وأعمال خاصة كالإشارات والرقى، وتعول الطقوس السحرية على قدرة السحرة.

(٢) عرف السحر من قديم، وكان له شأن كبير بوجه خاص لدى الجماعات البدائية، وآمن به نفر غير قليل فى التاريخ القديم وحديثه.

(٣) فـى وجـوه نـشـأت التجربـة العلميـة، وإن كـانـت تـرد آثـاره إلى قـوى خفيـة، فـوق الطبيعـة، فـى حـين أن العلـم يعتمـد علـى علاقات ثابتة بين الظواهر الطبيعية.

السفر:

بدء الكشف، وهو رؤيا محققة تعد العبد لسلوك الطريق. والسفر الحج إلى البيت المعمور الكائن فى زاوية الصدر. فهو توجه من العالم إلى الذات، ومن الظاهر إلى الباطن ومن التجزؤ إلى الواحدة .والسفر لدى ابن عربي أعلى درجة من السلوك (فكل مسافر سالك، وما كل سالك مسافر). فالسفر ليس شيئاً خارجياً عن القلب، وإنما هو محض معاملات وأذواق ذاتية فيه.

وأما المسافرون فى طريق الله، فطائفتان:

طائفة سافرت فيه بأفكارها وعقولها، فضلت عن الطريق، ولابد أن تضل، فإنهم مالهم دليل فى زعمهم يدل بهم سوى فكرهم وهم الفلاسفة، ومن نحا نحوهم.

وطائفة سوفر بها فيه وهم الرسل والأنبياء والمصطفون من الأولياء، كالمحققين من رجال الصوفية.

والأسفار أربعة:

الأول: هو السير إلى الله من منازل النفسي إلى الأفق المبين، وهو نهاية مقام القلب، ومبدأ التجليات الاسمائية.

الثانى: هو السير فى الله بالاتصاف بصفاته، والتحقق بأسمائه، إلى الأفق الأعلى، وهو نهاية الحضرة الواحدية.

الثالث: هو الترقي إلى عين الجمع، والحضرة الأحدية، وهو مقام قوسين، وهو نهاية الولاية.

الرابع: هو السير بالله عن الله للتكميل، وهو مقام البقاء بعد الفناء، والفرق بعد الجمع.

السلوك:

انتقال بالعلم من مقام، ومن اسم إلى اسم ومن تجل إلى تجل.

والسالك هو المتنقل بين تلك المقامات والأسماء والتجليات، وهو صاحب مجاهدات نفسية، وقد أخذ نفسه تماماً بتهذيب الأخلاق.

الشاهد:

هو الخاطر، وقيل الشاهد الحق: الشاهد فى ضميرك وآسرارك ومطلع عليها، وقيل الشاهد: بمعنى الحاضر، والمشهود: ما يشهده الشاهد، قال الله تعالى: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾(البروج: ٣).

الشطح: محاولة لوصف مالا يوصف.

والكلام فى الشطح على الشكر فلا يؤاخذ صاحبه.

والشطح: تعبير عن حالة اختلاط لا يميز فيها صاحب الطريقة الحق من الخلق، ولا الباطن من الظاهر، ولا المسمى فى حقيقة الأسماء.

والشطح أيضاً: عبارة مستغربة فى وصف (وجْدٍ) فاض بقوته وهاج لشدة غليانه وغلبته، فهو حركة أسرار الواجدين إذا قوى وجدهم فعبروا عنه بكلمات يستغربها سامعها.

صدق النور:

هو الكشف الذي لا استتار بعده، شبه بالبرق الممطر، ويسمى (صادقاً)، وإذا لم يمطر سمي (كاذباً)، فإن السالك إذا تعاقب عليه التجلي والاستتار اشتبه حاله، فإذا بلغ الكشف به مقام الجمع سمي: «صدق النور»، إذا لا استتار بعده ولا اختفاء.

صاحب:

(١) الصحبة للمقام، والمقام المسكن أىّ الحدّ الذي وصل إليه الإنسان وفى الصوفية مصاحبات كثيرة أي مقامات متعددة. نحو: صاحب الإشارة، وصاحب الزمان، وصاحب الحال، وصاحب القلب والأخير هو الذى جمع فى قلب أسرار العاملين فصار مثالاً للحديث القدسي: "ما وسعتني الأرض ولا السماء ووسعني قلب عبدي المؤمن". وصاحب القلب يمشي فى الناس بنور (به) يرى ما لا يرون، ويحي ما لا يموت وتحقق بقوله تعالى "ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أيضا كانوا" (سورة المجادلة آية ٧ وأنظر سوّر: الزمر ٦٩، يس ٣٢، الحج ١٨، السجدة ١٣، البقرة ٢٥٣، الأنعام ٥٣، الكهف ٨٢). فصاحب

القلب هو الذى كشف عن عينيه الغطاء فأصبح بصره حديداً) .

(٢) اراسايكولوجياً: الظواهر النفسية الفائقة كافة.

الصفاء:

الخلوص من آثر الطبع والتعلق بالحقائق ومزايلة المذمومات.

وقال بعضهم: الصفاء ما خلص ممازجة الطبع ورؤية الفعل والميل إليه.

وإما صفاء الصفاء: فهو اتصال ذلك مع السلامة من العلل.

الطب الروحاني:

هو العلم بكمالات القلوب وآفاقها، وأمراضها وأدوائها، وبكيفية حفظ صحتها واعتدالها ورد أمراضها عنها.

والمعالجات (الروحانية) تزخر بها المرويات والحكايات الصوفية. وصل بعضها إلى حد محاكاة معجزات الشفاء التي قام بها السيد المسيح.

الطريق:

للصوفية نظرتان إلى الطريق الذي يسلكون فيه إلى الله.

الأولى: طريق عروج من عالم الظاهر إلى عالم الحقيقة أو عالم السماء، من المادة إلى الميتافيزياء.

الثاني: تحول باطني وتغير فى الصفات وتهيو فى النفسي يمكنها

من الاتصال بـ (اللّه).

وأساس هاتين النظرتين واحد هو أن (اللّه) أو الحقيقة الوجودية المطلقة- هو أصل كل موجود ومصدره، فإن طلبه الصوفى بالطريقة الأولى عبر عنه بـ (الصعود) إليه، وإن طلبه بالطريقة الثانية عبر عنه بـ (الهبوط) إلى النفس ليجد (اللّه) فيها.

الطمس: ذهاب الشيء مع الآثار.

الطريقة: من معانيها:

(١) الأسلوب الخاص الذي يعيش المتصوف بمقتضاه قبل أن يصير صوفياً فى ظل جماعة من جماعات التصوف تابعة لأحد كبار المشايخ.

(٢) أو هي: مجموعة التعاليم والآداب والتقاليد التي تختص بها جماعة من هذه الجماعات.

(٣) ولها معنى آخر أعم وأشمل، هو الحياة الروحية التي يحياها السالك أياً كان، باعتبارها (المعراج الروحي)، ويعبر عنها بـ (السفر) و (السلوك) و (المعراج).

كما سموها الأحداث النفسية والمغامرات الروحية التي تعرض لهم فيها باسم الأحوال.

يرى السالك فى هذه الطريقة أشياء لا يراها غيره، وتعتريه أحوال لا يعانيها غير الصوفي، فلا يجد لغة يعبر بها عن هذه الأمور

كلها سوى لغة الرمز والإشارة، لأن الأمور التي يرمز إليها لا تقع فى محيط عموم الناس.

الطوارق:

ما يطرق قلوب أهل الحقايق من طريق السمع فيجد بهم حقايقهم. ومعناه فى اللغة: ما يطرق بالليل كما كان النبي (ﷺ) يقول فى دعائه: ((**اللهم إني أعوذ بك من كل طارق إلا طارقاً يطرق الخير**)).

العارف:

لا تحجبه الحجب عن ربه تعالى، لأنه فى مقام العبودية، لأن العارف هو خلاصة الخلاصة.

عشق:

من مقام كشف الصفات الذى خص به السيد المسيح، وكشف الصفات مرحلة تسبق كشف الذات، لذلك فثمة وجود للموجود الجزئي الذي هو الإنسان فى هذا المقام يقابله إحساس بوجود الموجود الكلي الذى هو الله، وبين الوجودين رابطة صحيحة هى الشوق، إذْ يتوق الجزئي للالتحاق بالكلي ومعرفته، كما أن الكلي دائم الطلب للجزئي لتحقيق الغاية ذاتها.

والعشق أقصى درجات المحبة، وسائر مقاماتها تندرج على النحو الآتي:-

(١) الغرام: وهو الانتشاء فى خمر المحبة .

(٢) الافتتان: خلع العذار وعدم المبالاة بالخلق.

(٣) الوله: وهو مقام الحيرة.

(٤) الدهش: وهو الذهول والغيبة.

(٥) الفناء: حيث لا يسمع إلا لمحبوبه، ولا يبصر إلا به، ولا يدرك إلا به وله.

وهذا فناء بـ (الحق) عن نفسه، وعن الشيئية.

فإذا وصل المحب إلى هذا الحد، أطلع على أسرار الغيوب وأخبر بها، معاينة لا على سبيل الحدس أو غلبة الظنون، بل على الكشف، والمشاهدة، ورؤية الحقائق الغائبة.

العلم اللدني :

علم هو فوق العلم الباطن لأن الآخير مختص بالأحداث الجزئية آما العلم اللدنى فهو الموصول بعين الذات، فهو ماء متدفق فى النبع مباشرة، وهو سريان الإلهام، ويكون لأهل النبوة والولاية، كما حصل لموسى عليه السلام مع العبد الصالح طبقاً للآية القرآنية: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾ (الكهف: ٦٥).

فالحق قادر على خلق المعرفة فى قلوب عباده، دونما واسطة، وروي عن بعض الأولياء ممن حصل لهم العلم اللدني، أنهم اعتبروا أنفسهم خاصة أهل الله الذين منحهم أسرار العلم الباطن فى القرآن والحديث.

والعلم اللدنى يكون بعد التسوية (ونفس وما سواها) على ثلاثة أوجه :

أحدها : تحصيل جميع العلوم، وأخذ الحظ الأوفر من أكثرها.

الثاني : الرياضة الصادقة، والمراقبة الصحيحة.

الثالث : التفكير بشروطه.

ويقول السراج فى هذا المقام: «أن هذا العلم (علم الصوفية) ليس له نهاية، لأنه إشارات وبوادر وخواطر وعطايا وهبات، ويغرفها أهلها من بحر العطاء، وسائر العلوم لها حد محدود، وجميع العلوم تؤدي إلى التصوف، وليس له نهاية، لأن المقصود ليس له غاية».

ويضمن العلم اللدنى لصاحبه صحة جميع ما يلقى إليه، كما يضمن له الإحاطة بمعارف كثيرة صادرة عن الفيض الإلهي كعلم الوحي وضروبه وعلم السماع، وعلم العالم البرزخي، وعلم الجبروت، وعلم الهدى، وعلم العظمة الإلهية إلى ماذا ترجع؟، وأين تظهر؟، ومن هو الموصوف بها وعلم الحضرة التي أطلق الله منها السنة عباده على نفسه بما لا يليق به فى الدليل العقلي؟. وعلم مراتب الكواكب، وعلم منازل الروحانيين من السماء، وعلم أحوال الحق، وعلم الصديقين، وعلم مراتب الغيب، وما انفرد به الحق من علم الغيب دون خلقه، وما يمكن أن يعلم من الغيب، وعلم ما لا يدركه الحس، وهو المعبر عنه بعالم الغيب.

ولكي يتحقق هذا العلم (اللدني)، يجب على الصوفى أن

يتوجه بالتقوى، لأن المعرفة التنسكية تنبثق من النفس بعد التحرر من رتبة الشهوات، والتخلص من عبودية الرغبات، والتعلق بالملأ الأعلى، والشوق إلى الاندماج فى النور الأقدسي الذي هو على أثر ذلك كفيل بكشف ما وراء الحجب السميكة، واجتياز ما بعد الحواجز الصفيقة، وإضاءة ما فى داخل البرازخ الكثيفة من أرواح علوية هبطت إلى تلك الأجسام فغشاها الظلام، وأحاط بها القتام ردحاً من الزمن كانت فى أثنائه فى شوق إلى الاتصال بأصلها، فإن تمت لها هذه البغية أصبحت جديرة بتلقي مخاطبة الحق الأعلى بقوله: ﴿وَفِى أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١)، بعين البصيرة النورانية أو اللطيفة الربانية التي ليست فى حاجة إلى الحس لترى، ولا إلى الكواكب وأفلاكها ومحاورها لتتفكر، ولا إلى فعل الأسباب فى مسبباتها لتتدبر، ولا إلى المنطق لتتعقل، ولا إلى الفلسفة لتهتدي، ولا إلى العلم لتسترشد، وإنما هي تنغمس فى بحار الأنوار وتتغمر فى لجج الإبهار. حيث درجة الطاعة الراضية والعبادة الصافية، ومحاولة القرب، والإخلاص فى الحب، وإيقاظ القلب، ليكشف ما لم يحط به اللب.

فالمؤمن المتأدب بآداب ربه، المحافظ على شريعته، إذا لزم الخلوة والذكر، وفرغ فكره مما سواه، وقعد فقيراً لا شيء له عند باب ربه، حينئذ يمنحه الله تعالى ويعطيه من العلوم والأسرار الإلهية، والمعارف الربانية التي منّ بها الله على عبده فقال تعالى: ﴿عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ

رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴾ (الكهف: ٦٥).

وقد تميز هذا اللون من العلم بتعبير المنامات بما يناسب الحدث، ويبين فى الوقت نفسه عن أحداث المستقبل نظراً لاتصال هذا العلم بديمومة العلم الإلهي الطاوية للزمن ولإحداثه والمنبثة بها.

العلة: كناية عن بعض ما لم يكن فكان.

عين الحياة: هو باطن الاسم الحي الذي تحقق به شرب من ماء عين الحياة، ومن شربه لا يموت أبداً، لكونه حيا بحياة الحق، وكل حي فى العالم يحيا بحياة هذا الإنسان، لكونه حياته، حياة الحق.

عين اليقين: معطيات المشاهدات النفسية فوق الحسية، وكذلك الكشوفات الجوانية.

عيد:

ما يعود على القلب من التجليات خارج نطاق الحواس الخمس المعروفة، نحو الكشف، والتشوفات المستقبلية والاستبصار.

الفتوح:

- فتوح العبادة فى الظاهر.
- وفتوح الحلاوة فى الباطن.
- وفتوح المكاشفة فى السر.

ففتوح العبادة سبب إخلاص القصد، وفتوح الحلاوة فى الباطن

سبب جذب الحق باللطاقة، وفتوح المكاشفة سبب المعرفة بالحق.

فراسة:

(١) مكاشفة اليقين، ومعاينة الغيب، وهي من مقامات الإيمان

(٢) نور يجعله الله فى قلب عبده فيمشي به فى الناس، والنور هنا اتصال روحاني يمكن العبد من أن يقرأ خفايا الصدور من خلال اتصاله بالغنيّ عن عالَمي الروح والمادة. ولقد خصّ الله بعض عباده بهذه الهبة فتمكنوا من قراءة أفكار الناس وخواطرهم.

الفكر:

تصرف القلب لما أشار إليه اللب.

وقيل: بعث الأحكام ينفى الأوهام.

قرب:

قرب العبد من الحق بالمكاشفة، رأس سطر والمشاهدة وهو على نوعين:-

الأول: قرب النوافل: وهو إضفاء الصفات الإلهية على البشر، كأن يسمع المسموعات من بعيد، ويبصر المبصرات من بعيد، ويحيي ويميت بإذن الله.

الثاني: قرب الفرائض: وهو فناء العبد بالكلية عن الشعور بجميع الموجودات الكونية حتى نفسه، بحيث لم يبق فى نظره إلا وجود (الحق تعالى).

قربة: تمكن (الولي) من تمكن الله فى صفاته. وإذا تصرف على سبيل (التمكين)، فلا يستعصي عليه شيء مما يطلبه.

مثل: إحياء الميت، وإبراء الأكمه، والأبرص، وغير ذلك مما هو لله تعالى.

ومثل هذا التمكين يجعل الإنسان يقارب الحق، أي صار فى جوار الله، فهذا القرب هو الجوار، ومقام القربة، هو الوسيلة وذلك لأن الواصل إليه يصير وسيلة للقلوب إلى السكون، والتحقق بالحقائق الإلهية.

قطب:

عبارة عن رجل واحد، وهو موضع نظر الله تعالى من العالم فى كل زمان، ويسمى بـ (الغوث) أيضاً حيث يلتجيء إليه الملهوفون.

وطبقاً لروايات الصوفية ومفسري نصوصهم الإشارية، فإن القطب يماثل الرجل الخارق فهو يحاكيه فى قدراته النفسية والجسمية الفائقة، ويتخطى بأفعاله قوانين الطبيعة، وله من حرية الحركة ما ينفى آية حتمية فيزيائية فى الزمان والمكان.

قلب:

ليس المراد بالقلب تلك المضغة الصنوبرية الجاثمة فى الصدر، بل هو فى رأي الصوفية: نطفة ربانية غير مادية، يدرك بها الإنسان الحقيقة الوجودية، وفيها يتجلى الحق لعبده، وبها يحب

العبد ربه، بعبارة آخرى هو مركز الإدراك الذوقي فى الإنسان وليس بعجب آن يعد الصوفية القلب مركز الإدراك الذوقي أو (الفهم) كما يسمونه أحياناً، آو المعرفة اليقينية على الإطلاق، فقد جرت لغة القرآن الكريم بهذا الاستعمال فجعلت من القلب محلاً للإيمان الصحيح ومركزاً للفهم والتدبر، ولكن القلب لا يصبح محلاً للإدراك الذوقي والمعرفة اليقينية، ولا مركزاً للمحبة الإلهية إلا إذا صفت صفحته، وانجلت غشاوته، وارتفعت عنه حجب الشهوة والهوى، وتخلص من تأثير العقل، ولذا ترى الصوفية قلوب السالكين مسرحاً لصراع عنيف، وجهاداً دائماً بين قوى المادة والروح. فإذا كانت الغلبة للأولى ينحط الإنسان إلى مرتبة البهائم، وإذا كانت للروح ارتفع إلى مقام الملائكة.

ومعنى هذا أن المعرفة لها بابان:

الأول: طريق الحواس.

والثانى: الباب الباطن، وهو باب اليقين، وهذا الباب ممكن للإنسان إذا جاهد نفسه، وقطعها عن الشهوات، وطهرها من الأدران، وصقل مرآتها من صدأ الخبائث، وبذلك لا يكون الإنسان محجوباً عن الحقائق الكلية، فيفيض عليه النور الإلهي ما يشاء، عن طريق (الإلهام) تارة، وطريق (المكاشفة فى الرؤيا) تارة آخرى.

والإلهام والرؤيا الصادقة، والمكاشفة فى الرؤيا، مفاهيم

يلتقي بها وحولها التصوف والباراسايكولوجي، وإن كان ظهورها لدى الصوفية يتحقق عبر المجاهدة والرياضة النفسية، فى إطار ما يسمى بـ (الكرامات)، فى حين تظهر على نحو مفاجيء فى الباراسايكولوجي، وقد تتطور من خلال التدريب النفسي.

الكرامة :

«أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد عبد صالح، ولا يقترن بدعوى النبوة، ولا هو مقدمة لها».

«واعلم آن بعض العوام ممن لا يعرف له صلاح، قد تظهر على أيديهم بعض الخوارق، فلا تسمى كرامة، بل (معونة) من الله تعالى، ولا يسمى صاحبها ولياً، لأن الله تعالى لا يتولى إلا عباده الصالحين».

والمعجزات للأنبياء، والكرامات للأولياء، أما الفرق بينهما، فهو: أن الأنبياء مأمورون بإظهار معجزاتهم أي يشترط فيها التحدي. أما الولي فيجب عليه ستر كراماته . وليست الكرامة إلا تأديباً وتهذيباً للنفس.

وأكبر الكرامات أن تبدل خلقاً مذموماً من أخلاق نفسك، بخلق محمود.

يقول ابن عربي: «فما من عبادة شرعها الله تعالى لعباده، إلا وهي مرتبطة باسم إلهي. . من ذلك الاسم، يعطيه الله فى عبادته تلك، ما يعطيه فى الدنيا:

١ - فى قلبه: من منازله وعلومه ومعارفه.

٢- وفى أحواله: من كراماته وآياته.

وفى آخرته، فى جناته، فى درجاته.

ويقول بعض العلماء من المتكلمين والصوفية أن للأولياء كرامات نحو: إجابة الدعاء والإخبار بمجيء زيد من سفره. وعافيته من مرضه. وللنفوس الزكية قوىً إنما تؤثر فى أكثر الأجسام التي فى عالم الكون والفساد.

كشف:

(١) الإطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، فأهل المجاهدة يدركون كثيراً من الواقعات قبل وقوعها، ويتصرفون بقوى نفوسهم فى الموجودات السفلية، وتصير طوع ارادتهم.

ويشمل الكشف باراسايكولوجياً:

- الاستبصار (الجلاء الحسي) بصراً وسمعاً.
- معرفة الماضي واستجلاء المستقبل.
- الرؤية التنبؤية.
- التأثير عن بعد.

(٢) والكشف أحد خطوات المنهج العلمي، يهتدي فيه الذهن إلى فرضية محددة، أو تفسير علمي لمعضلة ما.

كلمة الحضرة:

إشارة إلى النص القرآني (كن)، فهي صورة الإرادة الكلية

وتعد الكرامات، وإتيان الخوارق واحدة من تعبيراتها .

لب:

العقل المنور بنور القدس الصافي، حيث يمكن صاحبه من إدراك الحقائق الميتافيزيائية والإشارات المتعالية عن الحس التقليدي.

لحظ:

إشارة إلى ملاحظة أبصار القلوب لما يلوح لها من صور اليقين فى عالم الغيوب.

لطيفة:

إشارة إلى القلب عن دقائق الحال، تلوح فى الفهم، وتلمع فى الذهن، فتسقط أمامه الحجب وعندئذ يصلّ إلى الأسرار.

لوامع:

أنوار ساطعة تلمع لأهل البدايات فتعكس من الذهن إلى الحس المشترك، فتصير مشاهدتها بالحواس الظاهرة.

لوائح:

ما يلوح من الأسرار، واللوائح والطوالع واللوامع، متقاربة المعنى. فاللوائح: كالبرق ما ظهرت حتى استقرت.

واللوامع: أظهر من اللوائح، وقد تبقى إلى حين.

أما الطوالع: فهي أبقى وقتاً وأقوى سلطاناً، وأدوم مكثاً، وأذهل للظلمة.

ليلة:

هي ليلة القدر يختص فيها السالك بتجل خاص، يعرف به قدره، ورتبته بالنسبة إلى محبوبه، وهو وقت ابتداء وصول السالك إلى عين الجمع ومقام البالغين فى المعرفة.

فيما يرى آخرون أن اتباع الصوفية الأسلوب الرمزي كان الأسلوب الوحيد لأن تجاربهم ذاتية (جوانية)، لا يمكن الإفصاح عنها، إلا بلغة إشارية ترمز لعالمهم الخاص.

محاضرة:

الرؤية الأولى قبل رفع الحجاب، ثم تليها المكاشفة. فالمشاهدة فيرى ما لا عين رأت.

محبة:

حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت، فلا يبقى لك منك شيء. وحين تكتمل عناصر المحبة وتتعين شروطها، تسقط الأستار، وتتكشف الأسرار.

المحق:

إزالة السوي، ومشاهدة بعين البصيرة، وصاحبه ممتحق برؤية الله سبحانه، وقد ظهر وراء الظواهر ومحاها قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ (الأعراف: ١٤٣).

قال: ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ (الفجر: ٢١) عند ظهور الله لا يبقى للوجود الظاهري من أثر.

المحو:

الحيّرة فى الفصل بين الحق والخلق، فالجمع فى عين الجمع ممحو والعين فى الجمع ممحوة، فالمحو شمل العين والعيان، وبما أن الفصل مستحيل، فالمحو واقع افتراضياً، أما فى الحقيقة فلا فصل بين العين والعيان بين الإنسان والصورة، بين الرائي والمرئي والمرآة.

مراد:

العارف الذي لم تبق له إرادة ذاتية، وقد وصل إلى النهايات، وعبر الأحوال والمقامات، والمقاصد والإيرادات، وهو مراد أريد به ما أريد، ولابد إلى ما يريد.

المعجزة:

اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة فى اللغة، وقد يسمونها (الآيات) لكن كثيراً من العلماء يفرق فى اللفظ بينهما، فيجعل المعجزة للنبي، والكرامة للولي، وجماعهما: الأمر الخارق للعادة.

المعرفة:

عبارة عن حقيقة مقامك (من عرف نفسه فقد عرف ربه).

وهذه المعرفة لها ثلاث حضرات:

الأولى:

حضرة علم اليقين: وهو علم أرباب العقول وشرطه البرهان.

الثانية:

حضرة عين اليقين: وهو معطيات المشاهدة والكشف الروحي.

الثالثة:

حضرة حق اليقين: وهو فناء العبد فى الحق والبقاء به علماً وشهوداً وحالاً.

وعلامة الصديق من تجاوز الحضرات الثلاث، فتصير أسرار الوجود مشهداً له، فيرى بنور اليقين ما غاب على بصر المخلوقات من أسرار الحق تعالى.

وبتعبير صوفى آخر: «هجوم الأنوار على الأسرار».

وقيل أيضاً أن المعرفة «كشف لا يدركه وصف، ونعت لا يختلقه كيف».

يعتقد الصوفية أن مركز المعرفة الصوفية وأداتها هو «القلب» لا العقل.

وهي وسيلة للكشف الباطني أو وسيلة الإلهام الروحي الذي يبلغه الإنسان بتصفية النفس، وتطهير القلب، والبعد عن إدراك المادة.

وقد جاءت تجارب العلماء المعاصرين تشير إلى أن للمعرفة وسائل أخرى تتسم بالغموض والإبهام، وكان للمعلومات التي عرفها الإنسان المعاصر عن العقل الباطني والتنويم المغناطيسي، والقدرات النفسية الفائقة، تأثير فى تسليم العقل المعاصر بوجود هذه الوسائل،

برغم ما فيها من غموض وإبهام.

وهذا هو الشاعر (موسيه) يقول عن نتاجه الفكري: «أنا لا أعمل، ولكن أسمع فأنفعل، فكأن إنساناً مجهولاً يناجيني فى أذني» ويقول الشاعر لامارتين: «لست أنا الذي أفكر، ولكن أفكاري هي التي تفكر لي».

والشاعر «رينيه» يقرر أنه قد يبدأ مساءً فى قطعة شعر يصعب عليه إتمامها قبل نومه، فإذا نام واستيقظ وجدها تامة فى ذهنه فيكتبها.

والقلب عند الغزالي هو محل العالم الحقيقي لأنه فى رأيه نطفة ربانية مدبرة لجميع الجوارح، وهو بالنسبة إلى حقائق المعلومات كالمرآة بالنسبة إلى صور المتلّونات، فكما أن للمتلّون صورة، ومثال هذه الصورة ينطبع فى المرآة، كذلك لكل معلوم حقيقة، ولهذه الحقيقة صورة تنطبع فى القلب.

وبرع الغزالي فى تصوير مراتب الإدراك حتى يبلغ مرتبة الكشف الروحي، وعلى هذا الأساس يسمي الغزالي طريقة الصوفية فى الإدراك بـ (المعرفة الروحية) وبـ (علم الباطن)، ويتوسع فى تصويره بقوله شارحاً هذا العلم: «أنه عبارة عن نور يظهر فى القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة، وينكشف عن ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها، فيتوهم لها معاني مجملة غير واضحة، فتتضح إذ ذاك، حتى تحصل المعرفة

الحقيقة بإدراك حقائق علم الدنيا، وعلم الآخرة، ومثل هذا الأمر ممكناً فى جوهر الإنسان، لولا آن مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبثها بقاذورات الدنيا. . ».

وهذا هو (العلم الخفي) الذي عناه الصوفية للوصول إلى المعرفة اليقينية عن طريق الكشف الروحي والإدراك القلبي، إذ يرى هؤلاء أن فى الإنسان قوة غير قوتيّ الحس والعقل، قوة ترى الحقيقة فى صورة لا هي محسوسة ولا هي معقولة، بل «متذوقة» ولعل هذه القوة هي ما يدعيه الصوفية- لا صوفية المسلمين وحدهم بل صوفية عموم الأديان.

مرتبة الإنسان الكامل[1]:

تستغرق جميع المراتب الإلهية والكونية، من العقول والنفوس الكلية والجزئية حتى آخر تنزلات الوجود.

وهي مرتبة مضاهية للمرتبة الإلهية ولا فرق بينهما إلا بالربوبية، والإنسان الكامل هو (خليفة الله)!

---

[1] إن مقولة الإنسان الكامل، تكاد تكون الفكرة الرئيسية التي دارت عليها معظم نصوص محيي الدين بن عربي، وقد عبر عنها، وأشار إليها بجملة مفاهيم تزيد على أربعين مرادفاً، أهمها أن الإنسان الكامل هو: حقيقة الحقائق، والنسخة الجامعة، والمختصر الشريف، كل شيء، مرآة الحق والحقيقة، نور النبي محمد (ﷺ).

راجع الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، بيروت ١٩٨١ ح١ ص ١٤١- ١٤٢والدكتورة سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، بيروت ١٩٨١.

وانظر محمد غازي عرابي - النصوص فى مصطلحات التصوف، دار قتيبة- بيروت ١٩٨٥ ص٣٢ وما يليها.

مسافر:

العارف الذي سافر بفكره فى المعقولات والاعتبارات فعبر ناحية الدنيا، إلى عدوة القصوى.

مسامرة:

خطاب الحق للعارفين ومحادثته لهم فى عالم الأسرار والغيوب.

مشاهدة:

رؤية الحق ببصر القلب، كأنه يراه بالعين.

المقام:

فهو الذي يقوم بالعبد فى الأوقات من أنواع المعاملات، وصنوف المجاهدات فمتى أقيم العبد فى شيء منها على التمام فهو مقامه، حتى ينتقل منه إلى مقام آخر، كالوجد والتشوق والقرب والأنس والغيبة والحضور، والإيثار والذكر والتوبة، ورؤية الله فى الدنيا والآخرة.

مكاشفة[1]:

المكاشفة أتم من المشاهدة.

وقيل: مكاشفة بالعلم، ومكاشفة بالحال، ومكاشفة بالوجد.

---

[1] وقيل: أن علم المكاشفة المسمى بعلم الباطن، وهو التصوف، عبارة عن نور يظهر فى القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة، وينكشف بذلك النور أمور كثيرة وتحصل المعرفة الحقيقية بذات الله وصفاته وبأفعاله وبحكمته فى خلق الدنيا والآخرة.

راجع دائرة المعارف الإسلامية ج٩ ص٣٤٦.

فالمكاشفة بالعلم: تحقيق الإصابة فى الفهم.

والمكاشفة بالحال: تحقيق رؤية زيادة الحال.

والمكاشفة بالوجد: تحقيق صحة الإشارة.

مكاشفة العيون بالإبصار، ومكاشفات القلوب بالاتصال، فيما تعد المكاشفة آتم من المشاهدة.

المكان:

فهو لأهل الكمال والتمكين والنهاية، فإذا كمل العبد فى معانيه، فقد تمكن من المكان، لأنه قد عبر المقامات والأحوال، فيكون صاحب مكان، كما قال بعضهم:

مكانك فى قلبي هو القلب كله وليس لشيء فيه غيرك موضع.

مناجاة:

مخاطبة الأسرار عند صفاء الأذكار مع الملك الجبار.

منصة:

تجلي الأعراس، وهي تجليات، وكشوف روحانية.

الموت:

قمع هوى النفس وهو على مراحل:-

(١) **الموت الأسود:** وهو موت الفعل (كف النفس عن أن تحرك ساكناً) وهي فى الخلوة، فإذا أتم السالك هذه المرحلة مات

الموت الأسود.

(٢) **الموت الأبيض:** موت الصفات، والصفة أصل الفعل، أي فكرته.

(٣) **الموت الأحمر:** هو آخر المراحل، فالقيامة ثلاث درجات صغرى ووسطى وكبرى، وكل لها ميتة. والموت الأحمر موت الذات، وهو الفناء، أي فناء ذات السالك نفسها عند وصوله إلى مشارف الذات الإلهية التي هي عين كل ذات. فالموت الأحمر موت الروح، والروح هنا الذات الناطقة أو اللطيفة الإنسانية التي بلغت أقصى درجاتها فى معراجها فى سماء الكشوف.

النفس:

«جسم نوراني علوي خفى يسري فى الجسم المادي سريان الماء فى الورد، وسريان الدهن فى الزيتون، والنار فى الفحم».

واقعة:

هي التي يراها السالك أثناء الذكر واستغراق حاله من اللّٰه، بحيث تغيب عنه المحسوسات، وهو بين النوم واليقظة، وما يراه فى حال اليقظة والحضور يسمى «مكاشفة».

الوصل:

إدراك الفائت، وقيل: لحق ما فات، فمن لم يعم عينيه عن النظر إلى ما تحت العرش، لم يصل إلى ما فوق العرش.

والمراد بذلك: لم يلحق ما فاته من مراقبة الذي خلق العرش

الوقت:

حلول ساعة اليقظة والانتباه، وهي القيامة بالمعنى الرمزي، والاستيقاظ يقظة الحقيقة في قلب العارف.

وصاحب الوقت ذاهل، خرج من عالم الناسوت وما فيه، ودخل عالم الغيب والملكوت، لذلك تراه قد خرج عن طور الإنسانية ودخل طور الألوهية. ولذلك عجب الناس لأحوال المأخوذين الذين ركبوا سفينة النجاة.

اليقين:

لليقين ثلاث درجات: [1]

١- علم اليقين. يعني التصديق الذي لا يرقى إلى درجة الاطمئنان التام.

٢- عين اليقين.

٣- حق اليقين.

المبحث الثاني

ظواهر الإدراك فوق الحسي

النماذج والتطبيقات

مدخل:

الحقل الذي يدرس ظواهر الإدراك فوق الحسي، والقوى الخارقة للإنسان هو (الباراسايكولوجي)(حقل معرفي حديث العهد نسبياً نشأ في (أواخر القرن التاسع عشر). وان أدبيات الباراسايكولوجي المعاصرة تهتم بقدرتين أساسيتين هما: قدرة الإدراك فوق الحسي، وقدرة التحريك النفسي).. حيث يحاول أن يستدل على القوى الخفية للإنسان وهو يبذل كل جهده من خلال العلماء والمختصين للتعرف على مصدر تلك القوى الفائقة، ثم محاولة تفسيرها تفسيراً علمياً ومنطقياً.

ولكن هل يمكن تفسير الظواهر الخفية الخارقة وفقاً للقوانين العلمية والأصول المنهجية المتداولة أو المألوفة؟!

وكيف يمكن للمنطق العلمي أن يفسر ما هو خارق وعجيب وغير مألوف؟! هذه هي المعضلة الأساسية التي تواجه الباراسايكولوجي، ولكنهم مع ذلك.. يحاولون. فما هو الإدارك فوق الحسي؟ إنه معرفة خارقة، واكتساب معلومات عن حدث خارجي أو شيء أو تأثير ذهني، فيزيائي ماضي، حاضر، ومستقبل. وتتم هذه المعرفة ليس عن طريق القنوات الحسية التقليدية المعروفة.

الإدراك فوق الحسي:

مصطلح استخدمه (جي. بي. راين) ليشمل ظواهر مثل: التخاطر، الجلاء البصري، الاستشفاف، التنبؤ بالمستقبل.

تنقسم ظواهر الباراسايكولوجي[1] إلى الآتي:-

١- الاستشفاف (الجلاء البصري):

وهي واحدة من الظواهر المستقبلية، تعني القدرة على رؤية الأشياء والحوادث، خارج نطاق البصر التقليدي، أي ما وراء الحواجز والجدران، أو على بعد مئات الأميال، وربما يصل المدى إلى أبعد من نصف الكرة الأرضية.

وقد تكون قصة (زرقاء اليمامة) ظاهرة باراسايكولوجية محتملة الوقوع، إذا ربما كانت ترى الأشياء والموجودات بقوة الاستبصار وليس من خلال العين وأعصاب الشبكية وبالأضواء والظلال التي ينقلها الجهاز العصبي.

وقد روى ابن عربي أنه: كان للشيخ أبي مدين ولد صغير وهو ابن سبع سنين ينظر ويقول:

«أرى في البحر موضع صفته كذا وكذا: سفناً، وقد جرى

---

[1] توصل العبيدي عبر بحوثه المتعمقة في رصد وتصنيف ظواهر الإدراك فوق الحسي بلغ عددها حوالي خمسين ظاهرة.

راجع مجلة علوم، المصدر السابق، الأعداد ٨١ – ٨٢ (١٩٩٥) والعدد ٩٢ (١٩٩٧).

فيها كذا وكذا، فإذا كان بعد أيام وتجيء تلك السفن إلى (بجاية)، مدينة هذا الصبي التي كان فيها، يظهر الأمر على ما قاله الصبي فيها، فيقال للصبي: بم ترى؟

فيقول بعيني، ثم يقول: لا إنما آراه بقلبي، ثم يقول: لا إنما آراه بوالدي إذا كان حاضراً ونظرت إليه رآيت الذي أخبرتكم به، وإذا غاب عني لا أرى شيئاً من ذلك».

وهذه الظاهرة وسواها مما يماثلها فى آداب الصوفية وكتبهم تعد من ظواهر الإيحاء الروحي، إذا كان الابن بمثابة وسيط، بينما كان بمثابة المستبصر أو الرائي بوضوح.

وإذا أردنا أن نفسرها تفسيراً ذوقياً، فثمة مصطلح (التجلي) آي ما ينكشف للقلوب من آنوار الغيوب، وهو بلغة أهل التصوف يتعين عبر مقام (القرب) فيسمع المسموعات من بعيد، ويبصر المبصرات على أي مدى كانت، والاستشفاف لدى الصوفية هو أفضل منزلة من الطيران فى الهواء، والمشي على الماء، والخطوة للدنيا، فالرؤية الذهنية تتصرف لديهم إلى (زوي) وجه الأرض من غير حركة منهم، من ذلك: أن بعضهم كان فى جامع (طرسوس)، فاشتاق إلى زيارة الحرم، فأدخل رأسه فى جيبه ثم أخرجه وهو فى الحرم.

- اجتمع جماعة فى بعض البلدان البعيدة فى يوم عرفة، فاغتسلوا وصلوا وأحرموا ثم سجدوا سجدةً مكثوا فيها ما شاء الله ثم رفعوا رؤوسهم، فإذا هم ينظرون (الجمال) سائرة

من (منى) إلى (عرفة).

ومن المأثورات لدى الصوفية:

- ما روي عن محمد بن عبد الرحمن السقاف، الذي قيل آنه «كان يرى الكعبة وهو فى حضرموت».

وكان السبكي كثير الكشف لا تحجبه الجدران، أو المسافات البعيدة من إطلاعه على ما يفعله الإنسان فى مقر داره.

وهو ذات المعنى الباراسايكولوجي، الذي يعني الجلاء البصري: القدرة على رؤية الأشياء البعيدة، أو الجلاء السمعي آيّ سماع أصوات بعيدة دون استخدام الحواس، ولعل من بين أبرز الحالات الموثوقة فى عالمنا المعاصر هي حالة الدكتور المصري منير الجزاؤلي (أستاذ الباثولوجيا فى كلية طب القاهرة) فهو يدرك ببصيرته الذهنية ما لا تدركه الأشعة السينية، وهو من ثم لا يكلف مرضاه استحضار صور لهم بالأشعة السينية، بل بمجرد أن يتصل به المريض ولو (هاتفياً)، فآنه يراه عن بعد، ويعرف موضع العلة فى جسده (يسمى هذا النمط فى الطبابة: علاج الغائب. أو العلاج عن بعد. الذي يمكن الطبيب من تشخيص المرض ثم يصف العلاج. وثمة العديد من الحالات والأسماء التي تحفل بها أدبيات الباراسايكولوجي).

وثمة مقولة تقليدية لدى أهل المعرفة الصوفية تقول: «أن الانسان إذا صفا قلبه، وعرف ربه، فإنه يسمع ما لا أذن سمعت، ويرى ما لا عين رأت، ولا خطر على قلب بشر».

وهو ما عده ابن عربي ظاهرة خارقة من ظواهر الكشف

الممنوح للصوفى العظيم، فإن المحقق من الصوفية يرى بكل قوة، كما يسمع بكل قوة، ويشم بكل قوة، وهي عنده نوعان:

- رئيسية.
- وفرعية.

والرئيسية هي التي يختص بها المحققون من الصوفية، وتفسيرها أن الحكيم الواصل إلى عين الوجود (الحقيقة) يمشي على منازل نفسه وكمالاتها منزلاً منزلاً وحالاً حالاً على الترتيب الحكمي الإلهي حتى يعرف المنازل كلها عن طرق مقامات، فإذا تخلق بهذه المرتبة وعرف تأثيرات المنازل صحت له الرياسة المكتملة، فصاحب هذا المقام إذا رأى شخصاً فى الوجود، فلابد أن يكون متحركاً أو ساكناً بأي نوع كان من الحركات من لسان أو يد أو غير ذلك فيعرف من ذلك منزلة ذلك الشخص.

٢- الرؤية التنبؤية (الجلاء البصري التنبؤى):

الرؤيا مدرك يقع فى دائرة الغيب.

وقد عرف العرب علم تعبير الرؤيا، ونسب إلى النبي الكريم عدد من المرويات منها:

«الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة».

وذكر عنه (ﷺ) أنه كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح تحققاً وانطباقاً، بكامل أجزائها وتفاصيلها.

ويقول ابن سينا فى رسالة (معرفة النفس الناطقة وأحوالها)

«أن الإنسان فى نومه ربما يرى الأشياء ويسميها ، بل يدرك الغيب فى المقامات الصادقة بما لا يتيسر له فى اليقظة».

وقد اعتبر الصوفية (الرؤيا) نوعاً من الكرامات، وهي عندهم ثلاث :

الأولى : رؤيا من الله: وهي الصريحة التي لا تفتقر إلى تأويل.

الثانية : رؤيا من الملك: وهي رؤية صادقة تفتقر إلى التعبير.

أما الثالثة : فهي رؤيا من الشيطان، وهي أضغاث أحلام.

وقد أسقطوا الثالثة ، وتمسكوا بالأولى والثانية ، وكرسوا ذلك ليس فقط فى المعنى الاصطلاحي لكلمة (الرؤيا)، وإنما أيضاً: من خلال بعض المفاهيم الصوفية الأخرى، ومنها :

الخاطر : فالتقطوا منها نوعين هما :

(**الرباني**): الذي لا يخطئ أبداً.

(**المالكي**): وتعبيره الإلهام.

وهما يدان على القلب فى صورة خطاب.

بصيرة: قوة للقلب ترى بها حقائق الأشياء وبواطنها وهي بمثابة البصر للنفس الذي ترى به صور الأشياء وظواهرها.

وفى ضوء الرؤيا ومصطلحي الخاطر والبصيرة، عدت الأحلام التنبؤية تعبيراً عن الفعاليات النفسية الفائقة.

وقد روي عن أبي القاسم الجنيد (هو أبو القاسم بن محمد الخزار أصله من نهاوند، ولد ونشأ فى العراق. توفى سنة ٢٩٧هـ. كان فقيهاً ، صحب السري

السقطي والحارث المحاسبي، من أقواله المأثورة: «إذا لقيت الفقير فلا تبدأه بالعلم، وابدأه بالرفق، فإن العلم يوحشه، والرفق يؤنسه). قوله:

«.. وكنت لا أرى في النوم شيئاً إلا رأيته في اليقظة».

وذكر عن أبي بكر البطائحي أنه كان نائماً فرأى أبا بكر الصديق يلبسه ثوباً وطاقية، فاستيقظ فوجدهما عليه.

فالرؤية في نظر الصوفية حتمية التحقق عياناً، وعلى نحو متطابق تماماً مع الواقع.

ومن هنا فإن السهروردي (هو ابو الفتوح يحي بن حبش، الملقب- (شهاب الدين السهروردي المقتول، ولد سنة ٥٤٥ وقيل ٥٥٠ هـ، تلقى علومه في أصول الحكمة والفقه على يد أستاذه مجد الدين الجيلي، عرف بحواراته العميقة ومناظرته الكثيرة يعد من مؤسسي مذهب الإشراق قتل سنة ٥٨٨هـ) يقرر بأن طبيعة الرؤيا الصوفية تختلف عن خصائص الحالات المنحرفة التي تستحدث الانفصال عن الواقع بأساليب مصطنعة فهي تتعين عنده نتيجة الصفاء الروحي والتعمق التأملي معاً.

وكان أفلوطين قد أوضح أن الجزء العاقل فينا لا يوصل دائماً إلى الحقيقة، بل أن ذلك يتم بما يبتعث الله فينا من «ذكاء».

وهذا النفاذ الفكري الذي عبر عنه أفلوطين بـ «الذكاء» كفيض إلهي، هو الذي يطبع الرؤيا عند السهروردي من غير أن يحيلها إلى تعبير فلسفي مباشر.

٣- التحريك النفسي[1]:

هو الفعل الخارق، مصطلح وضعه جي، بي، راين، يشير إلى التأثير المباشر للعقل على منظومة مادية بدون توسط أية طاقة فيزيائية معروفة.

وهي ظاهرة تعتبر مظهراً فيزيقياً لحقيقة موضوعية أعم منها وهي إمكان تأثير العقل فى المادة الصلبة تأثيراً مباشراً.

وتأتي هذه الحركة انطلاقاً من هيمنة الذهن على المادة، أي القدرة على تحريك الأشياء أو التأثير فيها عن بعد بدون استخدام أي من القوى الفيزيائية.

وبعض الذين يدعون امتلاك هذه القدرة الفائقة، يستطيعون تحريك بعض الأشياء المادية الصغيرة كالملاعق والشوك والسكاكين فى حين حفل التراث الصوفى وأدبياته بقصص وحكايات عن أناس لهم قدرة تحريك (الموجودات الكونية)، تفوق حدود العقل والاحتمال، وتتجاوز الخيال الإنساني ذاته، فقد روي عن إبراهيم بن أدهم: أنه كان يحرك الجبل بإشارة من إصبعه (ثمة العديد من الروايات (العجائبية) التي تنسب إلى إبراهيم بن أدهم . راجع النبهاني. جامع كرامات الأولياء ج١ ص٣٨٥ وما يليها .

وقد لجأ البعض إلى محاولة تفسير هذه الفعالية الخارقة، عبر المقام الروحي الرفيع لدى بعض الصوفية وهو مقام (التمكين)، ونجد أن ذا النون المصري يرجع كرامة تحريك الأشياء إلى مكانة

[1] سلطة العقل على المادة أو Psychokinesis .

الصوفى عند الله، بحيث تطيعه الأشياء، وقيل أنه حاول إثبات ذلك عياناً، إذا آمر سريراً أن يدور فى زوايا البيت الآربع ففعل.

ويعلل السهروردي ظاهرة امتثال الأشياء حركة وسكوناً للولي الصوفى:

« فللنفس آثار فى المادة، وهي مطيعة لها، سيما النفس الطاهرة القوية، عملها شديد القوى، ذو مّرة لا يتناهى، فتطيعها المادة..

وإذا طرب اخوان التجريد فى مواجيدهم عملوا أموراً غريبة وحركوا تحريكات يتقاصر غيرهم عنها. . وقد جرب من ساير الناس قدرتهم عند طربهم على مالا يقدرون عليه فى حال غيره، فكيف من له عروج وشهود وقبول نور عقلي؟، فأخوان التجريد أطاعتهم الهيولي، فلا يستبعد منهم أن يحدث بدعائهم» .

- زلزال - وباء
- خسف - استسقاء
- أو استشفاء

ويتفق ذو النون المصري مع السهروردي، فى التفسير، حيث يرجع كرامة تحريك الأشياء إلى مكانة الصوفى عند الله، بحيث تطيعه الأشياء.

ومن بين الحكايات التي جاء ذكرها فى جامع كرامات الأولياء: (المصدر السابق ج٢، ص٢٢٠ وما يليها).

- كان الشيخ علي بن وهب يحرث فى وقت، فكان لا يمس (الفدان) بل أنه كان يقول له: (أمش) فيمشي و(قف) فيقف.

- حين سئل عن التوحيد، فأشار إلى الصخرة وقال: الله. فانفلقت نصفين.

وفى مقابل الإرث الصوفى الذي يسعى دوماً إلى تأكيد تفسيراته لهذه الظاهرة بقوة تأثير الروح فى المادة، فثمة شواهد معاصرة عن هذه الظاهرة، بما فى ذلك القدرة على إيقاف الساعات وتشغيلها بلا سبب ظاهر، وسقوط اللوحات المعلقة على الحائط، وقذف الصحون والأواني، وغير ذلك من الظواهر التي تعزي فى نظر العامة إلى أن البيت مسكون بالأشباح (راجع راجي عنايت: عجائب العقل البشري، ص٧٦ وما يليها). وقد يكون السبب الحقيقي هو وجود طاقة تحريك الأشياء لدى بعض سكان المنزل، خاصة من الأطفال دون سن الحلم، كما أن بعض علماء الآثار لا يستبعدون أن تكون هذه الطاقة قد استخدمت كلياً أو جزئياً فى بناء المعابد والأهرامات القديمة التي يستحيل على التكنولوجيا المعاصرة إنشاء مثيلاتها فى الوقت الحاضر.

٤- استحضار الأشياء:

وهو نوع من ظاهرة التحريك بالطاقة النفسية، نحو استدعاء شيء من مكان بعيد فى لحظات، أو القدرة على تحريك شيء من مكان إلى آخر، وقد حاول كتبة ومريدو التصوف توثيق ذلك بالنص القرآني الخاص بعرش بلقيس: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۝ قَالَ عِفْريتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا

آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ۞ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ (النمل: ٣٨ – ٤٠).

والملاحظ هنا أن الإتيان بالعرش لم يكن من فعل الجن، وإنما من فعل آنسي «عنده علم الكتاب»، والمشهور لدى المفسرين المسلمين أنه– اصف بن برخيا– وهو ابن خالة سليمان، ويمكن أن يقال آن هذا الرجل كانت لديه هذه الطاقة النفسية على استحضار الأشياء ونقلها فى لحظات.

وقد عني أهل التصوف بهذه القصة، واستندوا إليها فى قياس وتفسير ظاهرة استدعاء الأشياء.

وذكر البسطامي قوله: «الرجل هو الرجل الذي يكون جالساً وتجيئه الأشياء، آو يكون جالساً وتخاطبه الأشياء حيث كان».

فيما تقدم لنا أدبيات التصوف نماذج أخرى من شطحات أبي يزيد البسطامي وما نسب إليه من كرامات:

«كنت أطوف حول بيت الله الحرام وما أن دنوت حتى رأيت البيت يطوف حولي»!!

وبذات المعنى يذكر الحسن بن علوية:

ذهب أبو يزيد إلى مكة مع واحد من تلامذته، فلما دخل المدينة جاءت مكة إلى المدينة فطافت حول أبي يزيد، فغشي على تلميذه ووقع على الأرض، فلما أفاق مسح رأسه، وقال: تعجبت! قال: نعم.

قال: والله إن جاءت إلى بسطام لكانت مقصرة فى حقي.

وعلى ذات الإيقاع الاستعراضي الذي شغف به كتبة التصوف تروى الحكاية نفسها عن رابعة العدوية، حين قصدت مكة لأداء فريضة الحج، وفى أثناء الطريق فوجئت بأن مكة نفسها تسعى إليها، كيما تجنبها عناء السفر ووحشة الطريق!

وثمة صوفى يدعى (عتبة الغلام)، زعموا له قدرة استدعاء الأشخاص أينما كانوا بسرعة فائقة، وكان من يأتيه من هؤلاء ينكمش ويتقلص حجمه، حتى يضعه فى راحة يده!!

وثمة كرامة من فرط شيوعها فى كتب وأدبيات التصوف، تعد بديهية عندهم وهي استحضار الطعام فى البوادي والمفاوز والصحارى، أو استحضار الفواكه فى غير موسمها، وفى أي وقت أو مكان يشاء الصوفي. ومن بين المجلوبات: (إنفاق الأموال من الغيب)، ما ذكر عن:

- العريان ٩٦٤هـ كان ينفق من الغيب.
- إبراهيم القسطموني ١٠١١هـ أطلق عليه: (أبو الفقراء)، لأنه كان يتولى المحتاجين وينفق عليهم، دون أن يكون فى حوزته مال.
- إبراهيم المواهبي ٩١٤هـ، كان يبذخ نفقة الملوك، ويلبس ملابس الأمراء، وينفق من غيب الله تعالى فلا يدري أحد من معيته من أين يجيئه ذلك.

وفى العصر الحديث اشتهر عن الشيخ طنطاوي جوهري (١٨٧٠ - ١٩٤٠) وهو أحد رواد الدراسات الروحية فى مصر (من أشهر

مؤلفاته: تفسير الجواهر. الأرواح. جواهر العلوم). القدرة على استجلاب الأشياء.

وكان الفنان يوسف وهبي يؤكد مراراً أنه شهد بنفسه آحد رجال الصوفية يستجلب صينية عامرة بأطايب الطعام من مطعم معين. بعد آن يبعث بالثمن بنفس الطريقة، وقد حدث ذلك أثناء وجودهما فى قطار الصعيد.

آما على صعيد الباراسايكولوجيا، فإن ظاهرة استحضار الآشياء آو نفيها (اختفاء وظهور المادة ثانية فى نفس المكان) تعد ظاهرة يصعب استحداثها تحت الظروف الاعتيادية، وهذا ما قاد دعاة الباراسايكولوجي أنفسهم إلى نبذ كل الأقاصيص المتعلقة بهذا الشأن، لسبب بسيط هو أنهم يرغبون فى قبول ظاهرة أكثر معقولية تؤمن قدرة السيطرة عليها، كالإدراك فوق الحسي.

إن مثل هذه الأحداث التي أتى على ذكرها مؤرخو التصوف أو بعض مؤلفى الروايات المعاصرين، تتجاوز عتبة تفكير الأشخاص، ويبدو من المتعذر تفسيرها ضمن ميدان الفيزياء التقليدية وكان كبار الباراسايكولوجيين أنفسهم يسخرون بكل ما يقال عن تلك الظاهرة، ولم يعرف عن أحد منهم أنه أخذها فى يوم من الأيام، مأخذ الجد، لأسباب يبدو أنها تتعلق بالطبيعة المدهشة للأحداث، أكثر من كونها نابعة من الغموض الذي غالباً ما يكتنف التقارير التي ترد بهذا الشأن.

فيما نشر زولز نتائج أبحاثه عامّ ١٩٣٢ فى إحدى النشرات التي

تصدرها الجمعية الأمريكية للأبحاث الفيزيائية، وقد أثارت تلك النتائج اهتمام العديد من المعنيين بشؤون الأبحاث الباراسايكولوجية. فبرهن من جانبه على ظاهرة اختفاء وظهور المادة!

وهناك ما هو أكثر مثاراً للجدل والمتعلق بادعاء (يوري جيلر) بأنه تمكن من القيام بعمليات إخفاء ليس فقط أشياء مادية جامدة، بل وحتى حيوانات أو أشخاص، ومن ثم إظهارها فى مكان آخر.

ويعد المتصوف الهندي (سيابابا) بطلاً لعدد من الحكايات التي حملها الغربيون الذين قاموا بزيارته.

وتتمركز قدراته فى تجسيد أجسام صغيرة فى الهواء.. والشيء الوحيد الذي يستعين به فى هذا الشأن، هو مادة رمادية على هيئة مسحوق غالباً ما تسمى بـ (الرماد المقدس)، وتستخدم فى علاج الأمراض.

باختصار نستطيع أن نورد العديد من الأمثلة حول اختفاء الأشياء وظهورها فى مكان أخر. لكن السؤال ماذا يعني ذلك؟ أو ما هو التفسير المنطقي لمثل هذه الحالات:

الرد الأفضل عن هذا السؤال، هو أن للكون بعداً رابعاً أو أكثر، أي أن اختفاء الأجسام، أو استحضارها مرة أخرى، يفسر بتحركها فى دائرة البعد الرابع.

وربما تفتح هذه الظاهرة الباب لاحتمالات وجود عدد غير محدد من الأبعاد للزمن فإذا اختفى جسم ما من أمامك وبشكل مفاجئ، أو استحضر شيء، توقع وجود حقائق مدهشة خلف هذه

الظاهرة التي باتت شائعة.

٥- التنبؤ بالمستقبل:

كان حلم الإنسان منذ القدم معرفة أسرار المستقبل، وظل الأمل الذي يتوق إليه البشر، هو توفر الفرصة لاكتشاف (الآتي)، بهدف تجنب المشاكل والمصاعب المحتملة، والاستفادة من المنافع المادية التي سوف تجلبها الأيام المقبلة.

ثم أن قدرتنا على معرفة المستقبل سوف تمكننا من تحديد مسارنا بشكل سليم نستطيع معه ضمان عدم تعرض السنوات الآتية لأية اضطرابات، لأننا نعلم أصلاً ما يخبئه الزمن.

وأحداث المستقبل التي تقع فى أوقات معينة، ونتوقع نحن وقوعها قبل الأوان تقع فى حيز ما يعرف بـ (الهواجس)، وهذه الحالة تواجه العديد من الأشخاص بين حين وأخر ويصادف أحياناً، أن تصدق تلك التوقعات.

وتعد (الكهانة) من أبسط أشكال معرفة المستقبل، والتي يكثر فيها المدعون والدجالون، ومع ذلك فأنها فى بعض الأحيان تثير اهتماماً خاصاً، ومن أشهرها حالة العراف الفرنسي الشهير نوستراداموس الذي عاش فى القرن السادس عشر (١٥٠٣ – ١٥٦٦)، وبالرغم من أنه نظم نبوءاته شعراً بأسلوب رمزي غامض إلاّ أن المتحمسين له، يقولون: أنه تنبأ بظهور نابليون وهتلر، والهجوم الذري على هيروشيما، وناجازاكي، وتخلي الملك إدوارد الثامن عن

العرش، ومصرع جون وروبرت كندي.

لقد كان مذهلاً أن يتنبأ نوستراداموس بكل ذلك قبل أن يحدث بعشرات ومئات السنين. . وكانت له تنبؤات أخرى بصعود ملوك وبابوات وانتشار أوبئة ومجاعات، تحققت جميعها على نحو مذهل.

أما المقطع الخاص بطريقة موته هو شخصياً فكان من أدق وأغرب المقاطع التي وردت فى كتابه، فهو يقول:

« بعد عودته من سفارته، سيعثر عليه أقرباؤه وأصدقاؤه بالقرب من سرير. . أما هو فسيكون فى طريقه إلى الله».

وبعد أكثر من عشرين سنة من كتابته لهذه النبوءة، أوفده أهل مدينة– سالون– فى مهمة إلى مدينة– ارليه. . وبعد عودته ذهب بعض أقاربه للاطمئنان عليه، حيث كان يشكو من مرض النقرس، ويعيش فى بيته بمفرده. . ولما لم يرد عليهم بعدما طرقوا الباب عليه. . فاضطروا أن يفتحوا الباب عنوة، عندها وجدوه ميتاً على الأرض فى غرفة نومه بالقرب من سريره!!

وبالرغم من أن كتاب نبوءات نوستراداموس المعروف باسم القرون قد وضعته الكنيسة فى قائمة الكتب الممنوعة من التداول فى عام ١٧٨١، إلا أن هذا الكتاب ظل يطبع بانتظام طوال الأربعمائة سنة التالية لتأليفه.

ويذكر أنه كلما ازدادت ضخامة كارثة ما، كلما كثر حديث الآخرين عنها، وعن توقعهم لحدوثها:

وعلى سبيل المثال هناك العديد من الروايات التي تحدثت عن غرق الباخرة العملاقة (تيتانيك)، وعن اغتيال بعض الشخصيات السياسية الشهيرة.

وفى عام ١٩٦٦ تعرضت قرية (أبيرفان) فى ويلز إلى انهيار أرضي، أدى إلى مصرع ١١٦ طفلاً فى مدرسة القرية، إضافة إلى ٢٨ شخصاً من البالغين وقد أظهرت دراسة أجريت بعد وقت قصير من وقوع الكارثة أن هناك ما لا يقل عن ٧٦ شخصاً كانت لديهم فكرة واضحة عنها، وأنهم عاشوا هاجس المأساة قبل وقوعها بوقت قصير، وقد تبين أن ٢٤ منهم تحدثوا عن الكارثة قبل حدوثها إضافة إلى أن اثنين قاما بتدوين هواجسهم المتعلقة بها خطياً.

وفى حالات قليلة، قد يتمكن المرء من (تلقي) هواجس مفصلة تماماً عن قضية ما دون أن يدرك ماهيتها وأبعادها، وهذا على وجه التحديد ما حدث مع المؤلف الذي لم يشتهر كثيراً (مورغان روبرتسون)، الذي كتب عام ١٨٩٨ رواية بعنوان: «التيتان» والإشارة هنا إلى الباخرة العملاقة التي كانت الأضخم من نوعها فى العالم، والتي غرقت فى رحلتها الأولى، بعد ارتطامها بجبل جليدي، وقتل فى تلك الكارثة معظم ركابها البالغ عددهم ألف وخمسمائة شخص.

وتعود أسباب الخسارة الهائلة فى الأرواح، إلى حقيقة إدارية وفنية وهي أن قوارب النجاة فى الباخرة الوهمية كانت غير كافية فلم تستوعب إلا نصف عدد الركاب أو أقل من ذلك.

وبعد عشرين عاماً من ذلك التاريخ اصطدمت الباخرة «تيتانيك» بجبل جليدي فى رحلتها الأولى وغرق معها معظم ركابها بسبب قلة عدد قوارب النجاة على متنها.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض الأشخاص قاموا بإلغاء رحلتهم بسبب هواجس مرعبة، كما أن بعضا من الذين قرروا المضي فى الرحلة أبلغوا أقاربهم وبعض الأصدقاء بإحساسهم بأن (شيئاً ما سوف يحدث). فالهواجس الجماعية أو الفردية كانت كلها تشير إلى معنى واحد هو «الإدراك التنبؤي»، أو التنبؤ بالمستقبل، وهو واحد من قدرات الإدراك فوق الحسي التي تمكن صاحبها من معرفة المستقبل، واستباق الأحداث، وتوقع ما سيحدث قبل وقوعه، وقد حفل تراثنا العربي بالعديد من النماذج التنبؤية، وعدت معرفة المستقبل أحد مظاهر الكرامات الصوفية عبر الاستقصاءات الذهنية لأحداث تقع وراء الزمن الحاضر، وقد اصطلح مفسرو التصوف على موضوع الإدراك المسبق بـ (الكشف)، وهو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً حسياً وشهوداً مادياً متعين الأبعاد، «العارف بنور اليقين ما غاب على بصر المخلوقات من أسرار الحق تعالى».

وعرضت أدبيات التصوف لهذا النوع من الكرامات، وذكرت أن كثيراً من أعلام الصوفية كانوا يمتلكون قدرات تنبؤية من أمثال الحسين بن منصور الحلاج (٣٠٩هـ)، الذي حدد

طريقة وأسلوب مقتله فى قوله:

على دين الصليب يكون موتي ولا البطحا أريد ولا المدينة

وأبو يزيد البسطامي والشبلي وسواهما ممن كانوا يخبرون بالحوادث المقبلة قبل وقوعها.

ومن أشهر المرويات الصوفية فى هذا الصدد أيضاً، حكاية أبي القاسم القشيري (ت ٤٦٥ هـ) حين أنبأ أستاذه عن موعد موته: «يا أستاذي عند الظهر أموت، فخذ هذا الدينار، فكفني بنصفه، وأحضر لي قبراً بنصفه، فلما كان الغد عند الظهر، جاء فطاف سبعاً، ثم امتد نحو القبلة ومات. .».

وفى هذا الصدد ثمة مرويات مماثلة تنسب إلى الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم (ع) ٢٠٣ هـ منها:

قال الرجل: استعد لما لابد منه، فمات بعد ثلاثة أيام.

وأنه قال: «أنا وهارون الرشيد ندفن فى بيت واحد». (الإمام والخليفة العباسي متجاورين فى قبريهما بمدينة مشهد فى محافظة فارس).

وثمة إدراكات تنبؤية تشبه (الإنذارات المبكرة) فى لغتنا المعاصرة، مثل تحديد زمان ومكان الكوارث قبل وقوعها، وإنذارهم بما يتوجب عمله لتجنب هذه الكوارث أو التقليل من آثارها

يقف فى مقدمة هؤلاء المتنبنين من الصوفية :

الشيخ إبراهيم الاسكندراني (المتوفى ١٣٢٤ هـ).

* كان مولعاً ومشهوراً بتحديد المواقيت ويقين الأحداث.

الشيخ إبراهيم إبراهيم السعدي (المتوفى ١٢٩١ هـ) .

* عرف عنه درايته بالأخبار عن الغيوب .

إبراهيم بن عصيفير : حيث ذكر النبهاني بأن تنبؤاته كانت فى غاية الدقة والتطابق للوقائع مكاناً وزماناً ، منها :

* الإخبار عن الكوارث ومكان وزمان وقوعها.

* تحديد مواعيد الوفاة.

* الوصف الدقيق للمواقف والظواهر والمشاهد المستقبلية.

إبراهيم العريان (المتوفى ٩٣٢ هـ).

* يذكر تفاصيل الوقائع التي تقع فى الأسبوع المقبل وقيل أنه لم يخطئ فى واحدة منها .

محمد بن عبد الرحمن السقاف : كانت له مكاشفات كثيرة.

وإذا كان الإدراك التنبؤي لدى الصوفية ينحصر فى دائرة الموت، وتوقيتات حدوثه مكاناً وزماناً ، ويأتي عبر (الإلهام) فإنه فى المقابل يأخذ مفهوماً نفسياً أخر هو (الهاجس) فى نطاق الباراسايكولوجيا ، وهو أقل درجة فى الإثبات والتحقيق على صعيد

المقدمات والنتائج التنبؤية.

٦- التخاطر:

مصطلح ابتكره (أف. ديبلو أج. مايزر) للإشارة إلى الاكتساب الخارق للمعلومات التي تخص أفكار آو مشاعر، أو نشاط كائن واعٍ آخر. وقد حَلّ هذا المصطلح محل تعابير سابقة.مثل «انتقال الآفكار».

والتخاطر عملية إرسال الأفكار واستلامها عن طريق الذهن وهو أن يتمكن شخص وهو فى مكانه من معرفة ما يجول بأفكار شخص آخر لا يراه ولا يمتلك واسطة للاتصال به، وعلى بعد مسافات متباينة، وهو شكل من أشكال (الإدراك خارج مجال الحواس).

وقد عرّف العرب مثل هذه الفعالية النفسية الفائقة بـ (الهواتف)، أي التي يخاطب بها بعض الناس مفردين خاصة فى حالات التوجس والفزع، واشتغال الفكر، والنموذج التأريخي الموثق لدينا فى هذا الشأن، وهو هتاف الخليفة عمر بن الخطاب لسارية، ويقابله فى التصوف مفهوم (الخاطر)، ويعني ما يرد إلى القلب من خطاب، وانتقال الأفكار من شخص (مرسل) إلى آخر (مستلم)، دون استخدام وسائل الاتصال الحسية.

ويفسره أبو حامد الغزالي بقوله «بل القلب إذا صفا ربما يمثل له الحق فى صورة مشاهدة، أو يأتي فى لفظ منظوم يقرع سمعه، يعبر عنه بصوت (الهاتف) إذا كان فى اليقظة».

من بينها: ما روي عن محمد بن عبد الله الدويلة، قيل: إن ابنته سقطت من على ظهر جمل فى مكان كثير الحجارة، بينما كان هو فى مدينة بعيدة عنها فرآه بعض أصحابه، كأنه أمسك شيئاً، فسئل عن ذلك؟ فقال: ابنتي علوية وقعت فأمسكتها بيدي، فكان سقوطها فى الوقت عينه، ولم تصب بأذى، وقالت ابنته: لما سقطت غبت عن حسي ورأيت أبي يحملني، ويضعني على الأرض.

وقد أورد أهل التصوف كثيراً من المرويات الخاصة بـ (التخاطر)، وقد يعبرون عنه بمصطلح آخرهو: (المكاشفة)، الذي ينصرف إلى التخاطر والاستبصار معاً.

مكاشفات العيون بالابصار.

ومكاشفات القلوب بالاتصال.

يقول محي الدين بن عربي (١١٦٥ — ١٢٤٠م) عن التخاطر:

«الأرواح الإنسانية إذا صفت ارتقت معارج. حتى ترى فى قلوب العباد، فتعرف ما تحويه صدورهم، وما تنطوي عليه ضمائرهم، وما تدل عليه حركاتهم».

«واعلم أن كل قلب كتاب مسطور، لكل ما فيه من الخواطر والعلوم».

«وبعضهم يرتقم فى مرآه انطباعاً الذي فى نفس الغير، على وجه المقابلة لصفائها».

ويقول عن الفقراء: «فإن خواطرهم رسل إليك، فافعل كل ما يخطر

لـك . فـإن الفقـراء الـصادقين، تخطـر لهـم الخـواطر ، ومجاهـدتهم تمنعهم من التحـدث بهـا . . والله سبحانه، يريـد أن يجمـع لهم مـن بـين الأمرين معاً بصدقهم، فيلقى فى نفسك فعل مـا خطـر لهـم فقـم عنـد ذاك وأفعله. . وتتعلم أنت تصديق الخواطر» .

الاستشفاء النفسي[1] :

تشـكل ظاهـرة الشفاء بـاللمس، آحـد المظـاهـر الأساسـية فـى حقل العلاج غير التقليدي، والتي تحاط بكثير من الاهتمام والدراسة مـن لـدن المختـصين فـى البـاراسـايكولوجي، فـى العديـد مـن أقطـار العـالم المختلفـة، مثلمـا تـثير جـدلاً لا ينتهـي بـين فريقـي المؤيـدين، والمعارضـين، ويـزداد احتـداماً كلمـا ظهـرت إلى الوجـود حـالات جديدة، من هذا النمط العلاجي المستحدث.

---

[1] يتعين هنا التحفظ على ما تروجه بعض الفضائيات العربية ووسائل الإعلام الدعائية والتجارية بهذا الصدد ، فمن الغريب حقاً آن كثيراً من المتعلمين والمثقفين لا يزالون يعتقدون حتى الآن آن بعض الأمـراض النفسية والعصبية تنشأ أساساً مـن (مس) الجـن أو العفريت، وتـذهب إلى حـد تقسيمها إلى فئات، ومن هذه الفئات قد نجد أطباء وكيميائيين من الجن، إلى آخر هـذه الأوهـام التي لا تقـوم علـى أساس، فلـم يـشهد أحـد مـثلاً عـوالم الجـن، ولا كيـف يعيـشون ويتـصرفون ويتشكلون ... الخ ، ومع ذلك نجد الخيال طليقاً فى نشر تصورات رديئة قد تضر ولكنها من المؤكد لا تنفع. والأغرب آن هذه الأمور أصبحت من أعظم الأسواق فى الوطن العربي بعد تزايد إقبال الناس على أدعيائها ممن يطلقون على أنفسهم – المعالجين الروحانيين – وهـم فـى الحقيقـة لا يسوقون إلا الوهم والشعبذة والخرافات .

انظر عبد المحسن صالح: الإنسان بين العلم والخرافة. ص٨١ – ٨٢.

تعود أصول هذه الظاهرة إلى ما قبل الميلاد بمئات السنين، حين كان الكهنة في الحضارات القديمة يمارسون عادة (التكيس)، أي الضغط براحتي اليدين لتحقيق نتائج شفائية.

لقد أصبحت هذه اللمسة الشافية في أوائل عهد المسيحية جزءاً من الحياة الدينية، مثلها مثل العبادة والتأمل، وحتى بعد أن تخلى المسيحيون إلى حد بعيد عن هذه الفكرة، استعادها عدد من ملوك أوربا، حتى صارت تعرف بـ (اللمسة الملكية).

ولقد أعطت الحضارات الشرقية القديمة ضمن رؤيتها الشاملة للحياة والكون، فرضيات تحظى بجانب غير يسير من العمق والدقة والشمول لهذه الظاهرة لحد الآن، وتشير تلك الفرضيات إلى وجود طاقة حيوية شافية في الجسم الإنساني[1]، تتفاوت قوتها حسب هالته وذبذباته واستقطابه يدعوها اليوغيون بـ (البرانا) فيما كان المصريون القدماء يطلقون عليها «ألكا» أما الصينيون فيسمونها «تسي».

يتسم مفهوم الطب الروحاني لدى الصوفية، بنزعة (شمولية) و (اطلاقية)، تفيد التعميم الكلي، فهو علم بكمالات القلوب وآفاقها، وأمراضها، وأدوائها، وبكيفية حفظ صحتها واعتدالها،

---

[1] يرى فريق بأن الأمر لم يحسم بعد فلا زال موضوع (الطاقة) قيد الدراسة فيما يحاول آخرون إقامة جملة من التجاري على إثبات هذه الطاقة، وبالضد فيما يسعى فريق ثالث البرهنة على انعدام هذه الطاقة بل ونفى وجودها .

راجع المصدر السابق، ص١٠٥ وما يليها .

ورد أمراضها عنها، وفى ضوء هذا المفهوم الجامع المانع، يكون الطب الروحاني معرفة محققة ويقينية بقواعد الصحة الأساسية (كمالات القلوب)، وبتشخيص الأمراض (آفاتها وأعراضها)، وعلاجها (أدواءها) ويدرك شروط الوقاية ويضمنها (بكيفية حفظ صحتها واعتدالها). وتم تقرير النتيجة النهائية، من خلال تأكيد ضمان الشفاء التام (ورد آمراضها عنها).

أما طريق المعالجة للأمراض والتي جاءت على ذكرها الحكايات الصوفية، فيتم من خلال الوسائل الآتية :-

- النظر المحض إلى وجوه المرضى.
- التنفس نحوهم.
- وضع اليد على موضع العلة.
- شرب الماء.

وغالباً ما تكون الأمراض المعالجة من النوع (المستعصي)، ومن نماذج الحالات المروية فى هذا الصدد :

- العلل العضوية (الباطنية) التي لا يرجى شفاؤها
- حالات العمى.
- الكساح .
- الخرس .

ومن حكايات الصوفية فى هذا المقام :

- حكاية الشيخ الفاروقي إذا جاءه مجذوم يسأله الدعاء

بالشفاء، فسقاه ماء وضوئه فشفى فى الحال؟!

- ما ذكر عن محمد بن علي بن الدويلة (المتوفى ٨٢٧ هـ) من أنه كان يمسح بيديه موضع الألم فيبرأ المريض.

ونسب إلى الشيخ حياة بن قيس الحراني (المتوفى ٥٨١ هـ): أنه وضع يده على عين مطفأة، فعادت صحيحة، وعاد الرجل يبصر بها؟!

وفى عصرنا الراهن، ظهر عشرات المعالجين الروحيين بأسلوب (اللمس) فى العديد من أقطار العالم ومن بينها الفلبين، البرازيل، حيث يقصدها الزائرون من مختلف أنحاء الأرض، للبحث عن فرصة للعلاج الروحي من أمراضهم المستعصية على الطب الحديث (من المفيد الإطلاع على الدراسة الرصينة التي أعدها السيد سلمان العبيدي عام ١٩٩٤ تحت إشراف مركز البحوث الباراسايكولوجي فى جامعة بغداد بعنوان: الحقيقة والوهم فى الشفاء الروحى) !!

المبحث الثالث

ميتافيزياء الكرامات

(ما وراء الباراسايكولوجيا)

تقديم :

يقدم رواة التصوف، الكرامات الماورائية، فى رحلة (ذاتية) مفارقة لكل قاعدة، من قواعد العلم وقوانين الطبيعة، ومتجاوزة حتى للإدراكات النفسية الفائقة فثمة المشاهد الاستعراضية والعوالم العجيبة التي يسعى مؤرخو التصوف وكتبته إضفاءها على أوليائهم تحت مفهوم مقام (القربة)، بحيث يصبح الولى (يسوق منظرو التصوف العديد من (الحجج) من وجهة نظرهم فى مسألة أن (الولي) قد لا يعرف كونه ولياً، وأنه صار كذلك لأن الحق يحبه وأن الولاية لها ركنان، أحدهما انقياده للشريعة، الثاني: كونه فى الباطن مستغرقاً فى نور الحقيقة، فإذا حصل الأمران وعرف الإنسان حصولهما فأيقن لا محال كونه ولياً. (النبهاني ج١، ص٢٦ – ٢٨). كائناً كلياً مطلقاً (فوق البشري) قادراً على الصنع والخلق والإيجاد، فإذا تصرف (الولي) على سبيل (التمكين)، فليس من أمر يستعصي عليه مهما بلغ هذا الأمر من صور الإعجاز، فهو يفعل ما يشاء فيحقق الكرامات ويأتي خوارق العادات، ويوصف هؤلاء (الأولياء) بأنهم أصحاب السر الإلهي الذين بلغوا فى العلم غاية الغايات وأعلى المقامات وأقصى الدرجات، وهي درجة مقيدة بـ (القطب) المطلع على

الأسرار الكونية والإلهية.

وأياً كان الأمر، فالصوفى يختزن توقه، ليفجره موقفاً ينفرد به عمن سواه، ساعياً من خلاله صوب المطلقات «الكمالات»، تحت ضغط فكرة «الإنسان الكامل»، أي ذلك الشخص الذي يرى نفسه وقد «وسع كل شيء» فيطوع أو يخضع الطبيعة لإرادته وكأنها جزء منه أو لعبة بين يديه يتصرف بها كيفما شاء، وأن الزمن يجري فى عروقه، وأن الاصطدام بينه وبين الحياة، والواقع والموت، وفى مرحلة لاحقة، أو فى حالات أخرى، نجد البطل الصوفي، بحكم نظرته المنسجمة مع الكون والموت والله، يتجاوز مخاوف البشري، ويرى أن له سلطه مهيمنة على الكون وعلى الموت. . ولديه القدرة على خرق السنن الطبيعية، أو على أن يحيا ضمنها وفق إرادته الخاصة، أو نظرته أو تصوراته. . وهكذا يجتاف القوانين والسببية، فيعيد خلقهما، أو صياغتهما طبقاً لاختياره الخاص، وهو ما تعلنه بوضوح المرويات الصوفية عن الكرامات والخوارق المنسوبة إلى هذا أو ذاك من أولياء القوم، لقد أصبح الولي والطبيعة شيئاً واحداً. . فصار هو الطبيعة، ثم تجاوز الطبيعة فاستعملها فى خدمة ذاته وأفكاره ونظرته فيرى أنه سيطر على الحجر والشجر وسائر الموجودات.

وفى الصفحات الآتية نماذج مما يجاوز ما يدعى بـ (الكرامات التقليدية) وهي فى شكلها ومضمونها تقع فى ما وراء

الباراسايكولوجي، وما فوق قدرات الإدراك النفسي الفائق.

١- إيجاد المعدوم (إحياء الموتى):

المرويات:

- زعموا أن السيد البدوي بعد أن مات قام فغسل نفسه، وبعد انتهائه من الغسل مات ثانية؟!
- روي أن الحلاج أحيا جدياً مشوياً!!
- وادعوا أيضاً: بأن الحلاج نفسه أطار طائراً ميتاً.
- قيل: أن صوفياً نفق حماره، فصلى ودعا الله أن يبعثه، فقام الحمار ينفض أذنيه؟!
- جاءت امرأة إلى الشيخ (البطائحي)، وقالت: إن ابني غرق فى الشط، وليس لي سواه، وأنا أقسم بالله أن الله تعالى أقدرك على رده، فإن لم تفعل شكوتك غداً إلى الله ورسوله، وأقول أتيت البطائحي ملهوفة، وكان قادراً على رد لهفتي، فلم يفعل.

فأطرق الشيخ، ثم قال للمرأة: «أرني أين غرق؟!»، فأرته المكان، فإذا ابنها قد طفا ميتاً، فسبح وحمله، وأعطاه لأمه، وقد ردت إليه الحياة، فانصرفت به، وهو يمشي معها؟!!

الملاحظات:

يرمي المتصوفة من وراء هذه المرويات الخارقة:

- إلى محاكاة معجزات السيد المسيح.

- محاولة إضفاء صفة القداسة المتناهية على شيوخهم.
- تكريس الطابع (الرمزي)، الاستعراضي، لاجتذاب الأتباع والمريدين وذوي النزعات الروحية غير المقيدة.

٢- إعدام الموجود: (إماتة الأحياء):

أ- تعبيراً عن مشاهد القوة الاستعراضية المتوهمة، فثمة روايات يظهر فيها الصوفى كما لو كان رجلاً خارقاً (سوبر مان super man) فبوسعه أن يقوم بالأعمال الإعجازية الآتية:

- قتل الأشخاص بكلمة واحدة.
- يضرب عنق أحد الأشخاص بإشارة فيطير رأس المشار إليه.
- يومئ بإصبعه إلى شخص معين فيقع ميتاً على الفور.

ب- خص الصوفية الشيخ عبيد بهذه القوة الاستعراضية الماحقة، فقد روي عنه:

- أن كل من تعرض لأحد بسوء قتله فى الحال.
- فى إحدى المرات تبعه أطفال بدأوا يضحكون عليه، فقال: يا ملك الموت، إن لم تقبض أرواحهم لأعزلنك من ديوان الملائكة فأصبحوا موتى جميعهم!!

ولئن كانت مثل هذه الإشارات مفارقة لما هو قائم ومبرهن عليه فى منطق العلم، ونظام الأشياء، فأن رَد الفعل العاطفى غير المعلّل يضعها فى دائرة الخيالات المسرفة.

٣- **جفاف البحر:**

معجزة النبي موسى، التي ورد ذكرها فى القرآن الكريم:

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ۞ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ ۞ وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ (الشعراء: ٦٣ – ٦٥).

استعار الصوفية صورة المعجزة الموسوية فى منطق (التمثيل) و(التلاقي)، لإثراء المعاني وتأصيل بعض الكرامات. . ومنها:

- «مات فقير فى سفينة ،

قال الراوي: فأردنا إلقاءه فى البحر، فرأيت البحر قد انشق بنصفين ونزلت السفينة إلى الأرض، فخرجت، وحفرنا له قبراً ودفناه، فلما فرغنا استوى الماء، وارتفعت السفينة، وسرنا»؟!

٤- **إنزال المطر:**

يصل التوق الصوفى إلى حد محاكاة الفعل الإلهي:

- فالشيخ عبيد يأمر السحاب أن يمطر. .
- واللمطي (واجاج بن زلو)، ينزل المطر أيضاً، ويقضي على الجدب، والقحط، فيحيّ الأرض بعد موتها!
- بل إن الناس يستقون ببركة الصنهاجي الصوفى، فيطلبون باسمه، و(توسطه)، فيهطل المطر. . ويشبع حاجاتهم الفردية فى سقي المواشي، وريّ الأرض.

يقول الدكتور على زيعور: الصنهاجي يحتل دور– خاتم

لبيك– عند الاستقاء، وفى حالات الشدة والضنك على الصعيد الفردي، آو تحقيقاً لأماني الجماعة، ويتولى مضمون الرواية ذاتها بصياغات متباينة فى مصادر وطبقات الصوفية، ولكنها لا تخرج عن (انشقاق البحر آو جفاف مائه).

ويذكر أن إبراهيم المعروف بـ (مرشد)، صام أربعين سنة، اقتصر إفطاره خلالها على:

- زبيبة واحدة.
- أو تمرة واحدة.
- أو لوزة واحدة.

٥- إظهار الشمس من المغرب إلى المشرق.

٦- الصوم الطويل (ظاهرة الجوع):

ومن مروياتهم عن الشيخ (الجيلاني):

- أنه بقي سنة يأكل ولا يشرب.
- وسنة ثانية يشرب ولا يأكل.
- وفى السنة الثالثة وعلى مدار أيامها امتنع عن الأكل والشرب والنوم.

وقال أبو يزيد البسطامي، سألت نفسي أمراً من الأمور فأبت، فعزمت أن لا أشرب الماء سنة.

لما يقتضيه الموقف من عرض للقوة الروحية فيما يحرص الصوفية على غائية الكرامة (غائية الكرامة لدى القوم تعني: متابعة الشريعة

والالتزام بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح عما يسمى (معونة)، وهي الخارق الظاهر على أيدي عوام المسلمين، تخليصاً لهم من المحق والمكاره، وبمقارنة صحيح الاعتقاد والعمل الصالح عن الاستدراج)، فهي تقوم بوظائف عديدة منها:

- جذب الآخر.
- التطمين.
- التفوق.
- التوبة.

يعد (الجوع) واحداً من أركان الطريق الإلهي، إلى جوار الصمت والسهر.

- جوع اختياري، وهو جوع السالكين.
- جوع اضطراري وهو جوع المتحققين.

ذلك أن المحقق لا يجوع نفسه، ولكنه يقل أكله إذا كان فى مقام (الأنس)، أما إذا كان فى مقام (الهيبة) كثر أكله!، وبالضد من ذلك: السالكون، فكثرة الأكل لهم دليل على بعدهم من الحق، واستيلاء النفس الشهوانية البهيمية بسلطانها عليهم، فى حين أن قلة الأكل دليل على نفحات الوجود الإلهي على قلوبهم، فيشغلهم ذلك عن تدبير جسومهم، وعن الجوع بكل حال.

وعلى الجملة فإن الجوع سبب داع للسالكين والمحققين إلى نيل عظيم الأحوال والأسرار، وهو يورث النشاط بالطاعة ويذهب الكسل.

٧- مواقف الموت:

أ- قال الصوفية فى رواياتهم أن الشيخ البطائحي هذا مات:

- فاستحال إلى التراب.
- وأن ترابه استحال إلى نبات.
- وأن الحيوان الذي أكل من هذا النبات:

لم تؤثر به النار، ولم ينضج أبداً.

ب- روي عن يحيى بن شرف الدين الجناوي أنه كان يسمع كلام الموتى، ويكلمهم، ويكلمونه.

٨- سيمياء السعادة:

كان حلم العاملين بالكيمياء القديمة (الكيمياء السحرية)! الوصول إلى تصنيع نوعيات مختلفة من المادة الموجودة داخل الطبيعة وذلك بمزج أربعة عناصر أساسية: التراب، الهواء، النار، والماء، بنسب متساوية، وفى الوقت نفسه استخدمت (الكيمياء) القديمة لإيجاد صيغ على شكل سحر وتعاويذ وتمائم.

ولطالما اعتقد العاملون فى مجال الكيمياء القديمة بإمكانية تحويل العناصر لكنهم لم يتمكنوا من تغيير طبيعة عنصر ما، بإضافة أو بتر البروتونات من النواة، لأن القوة التي تقوم بطرد وإزاحة البروتونات تلك، قبل التصادم مع جزيئية أخرى ذات سرعة كافية لكي تكسر الحاجز الإلكتروني الذي يحيط بالنواة.

فيما تبنى بعض المتصوفة سيمياء السعادة (عملية تحويل المعادن الخسيسة إلى آخرى نفيسة)، وتعد واحدة من المشاهد الاستعراضية التي افتتن بها مريدو التصوف.

ولئن كانت الكيمياء الشعبية قد عدت عملية تحويل الحديد أو النحاس إلى ذهب، هي أقصى أمانيها، فراحت تشيد أوهامها السعيدة وراء عالم من التجارب الساذجة، فإنها انتقلت لدى مروجي الكرامات والانذهالات الصوفية إلى دائرة سحرية مبهرة إذ تنطلق الكرامة السيميائية بسرعة فائقة، فيحدث التحويل لمواد مفارقة للمعادن كالحطب ونشارة الخشب، يمكن إجمال بعض نماذجها على النحو الآتي: (تلاحظ هنا – المفارقات – بوصفها تحديات أمام الصوفي الذي يتجاوز طبائع الأشياء، ويتفوق على الكيمياء السحرية إلى ما فوقها أو ما ورائها. تذكرنا بالمقولة المصرية الشائعة (لبن. سمك. تمر هندي) إيماءة للأخلاط المتنافرة!)

أ- الخشب:

- تحويل نشارة الخشب إلى (دقيق).

ب- الحطب ذهباً.

ج- التراب:

- التراب ذهباً وأحجاراً كريمة.
- الحصى جواهر.
- الرمل سكراً.

د- الماء:

- ماء البحر سمناً.
- ماء البحر عذباً.

هـ- الرصاص:

الرصاص ذهباً.

ولا تتوقف وظيفة السيمياء السعيدة عند حدود جذب الآخر أو التطمين والتفوق، فقد يجئ الفعل الصوفى الخارق على سبيل استيعاب التحدي المقابل فى ضوء الصورة الآتية:

فقد روي أن أميراً من الأمراء أراد أن يستهزئ بـ (الفقراء) ويفضحهم فأعطاهم (خمراً) بدل (الأدام)، فتناولها أحد الفقراء فخضّ الخمر وصبها، فتحولت إلى (سمن)، لم ير مثله طعماً ورائحة ولوناً. فعلم الأمير بالأمر فأكل وتحير مما رأى، فتاب على يد الشيخ الفقير! (المقابلة واضحة (الأعلى والأدنى)، الغني والفقير. إلى جوار القدرة (التحويلية). سلسلة من التحديات لتأكيد غائية الكرامة وهي (التوبة)!

٩- الرفع (التعويم)[٢]:

---

[٢] التحليق فى الهواء LEVITATION الرفع إلى أعلى، أو تعليق أشخاص، أو أشياء فى الهواء بدون قوة ظاهرة تقتضيها القوانين الفيزيائية المعروفة للحركة والجاذبية.

وقد كان بعض المتصوفة يقول بأن من علامة العارف (الطيران فى الهواء).

وثمة حكايات كثيرة عن شيوع مثل هذه الظاهرة لدى بعض رجالات الصوفية:

- ثمة امرأة اعتراها الحال فى مجلس أحد شيوخ الصوفية، فقذفت بنفسها من فوق السطح، فأشار الشيخ نحوها، وبقيت معلقة فى الهواء.

- سجلت أوراق الأدب الصوفى العديد من روايات السباحة فى الهواء لعدد من الصوفية على امتداد القرنين الخامس والسادس الهجري:

- فقد روي عن أبي يزيد أنه كان يستطيع السباحة أو الطيران فى الهواء متى شاء.

- إن رجلاً من الأولياء رأى الصوفى الشهير يحيى ابن شرف الدين الحناوي متربعاً فى الهواء على كرسي من (زبرجد).

فقال له: ما الذي قدرك على ما أرى ومن أنت؟

فأجابه ابن شرف الدين: سر فى أمان الله واكتم علي.

ومن كرامات عبد الله الصوفى (المتوفى فى القرن السابع الهجري)

- أنه كان يحج من الشام إلى مكة فى الهواء.

ونقلت لنا سجلات الوسطاء الروحيين فى القرن التاسع عشر واحداً من أبرز وأشهر الأمثلة، وإن كان موضع خلاف (ثمة شكوك

كبيرة حول هذه الظاهرة كالتضليل والاحتيال والايحاء). ذلك العرض الذي قدمه الوسيط البريطاني دانييل دوجلاس هيوم أمام شهود من المشاهير فى لندن عام ١٨٧٢ حين ارتفع جسده وسبح فى الهواء خارجاً من نافذة فى الدور الثالث، ثم عاد طافياً فى الهواء عبر نافذة أخرى. وقد قام وسيط بريطاني آخر يدعى كولين ايفانز بعرض مشابه للارتفاع فى الهواء أثناء جلسة وصفت بأنها روحية حضرها الكثيرون فى قاعة كونواي بلندن عام ١٩٣٨، والتقطت صورة فوتوغرافية للعرض.

- وقيل أن الارتفاع فوق سطح الأرض ظاهرة مألوفة لدى بعض المتصوفة الهنود، ولقد ظن بعض علماء أوربا أن فى الأمر خدعة ما، وعثروا على واحد ممن يستطيعون ذلك، ارتفع الرجل لمسافة مترين، ولم يكن هناك ما يتعلق به، كما لم يكن تحته شيء يسنده. وطلب العلماء من الفقير الهندي أن يكرر ذلك عدة مرات ففعل. وعندما سألوه كيف يستطيع ذلك؟ قال ببساطة: أنه لا يعرف، فقط هو يريد، وإذا أراد فإنه يشعر بنفسه يرتفع إلى مسافة تزيد على عشرة أمتار، وليس فى استطاعته الارتفاع لأكثر من أحد عشر متراً !!! وعاد العلماء الأوربيون إلي بلادهم وليس عندهم أي تحليل علمي لتلك الظاهرة أو غيرها من الأعمال الخارقة التي شاهدوها بأعينهم في الهند.

وقال بعضهم: إنه «سحر»!

وقال آخرون: أنها قوى غير منظورة، تساعد أولئك

الناس (كالجن) مثلاً!!

- وقال أكثرهم تحفظاً إن فى الأمر خدعة فوق مستوى الادراك العادي.

– فيما يرى مريدو الباراسايكولوجي بأن المؤكد أنها قدرة نشطت وقويت، وهي موجودة عند سائر الناس لكنها فى حالة خمود..

فإذا عمل أحدهم على تنشيطها ودرب نفسه على استخدامها، فإنه بالقطع سوف يستطيع.!

١٠- المشي فوق الماء:

تعد مرويات (المشي فوق الماء) إحدى أبرز الوسائل الأثيرة لدى المتصوفة لإثبات قدرة أوليائهم وامتيازهم الروحي الذي لا يدانيه مقام آخر باستثناء السيد المسيح إذ حرصوا على محاكاة معجزاته فى معظم كراماتهم، إذ يجمعهم معه الإطار الروحي، والإشراقات النفسية الإلهية.

ففى انجيل متى (الإصحاح الرابع عشر ٢٤– ٣١): جاء: «وأما السفينة فكانت قد حارت فى وسط البحر معذبة من الأمواج، لأن الريح كانت مضادة، وفى الهزيع الرابع من الليل مضى إليهم يسوع ماشياً على البحر اضطربوا قائلين: أنه خيال، ومن الخوف صرخوا، فللوقت كلمهم يسوع قائلاً:

- تشجعوا أنا هو لا تخافوا.

- فأجابه بطرس وقال: يا سيد إن كنت أنت هو فمرني أن آتي إليك على الماء.

فقال تعالى، فنزل بطرس من السفينة ومشى على الماء ليأتي إلى يسوع. .

وفى رأي أصحاب الاتجاهات الجوانية الروحية، بأن السيد المسيح قطع بأن كل إنسان لديه القدرة على المشي فوق صفحة الماء، والشرط الوحيد لدى هؤلاء هو (الإيمان)، أي (التطهير)، الذي يقضي بتحرر النفس الإنسانية من دنس الجسد المادي وأغلاله، لتتمكن بعد ذلك من بلوغ غايتها، مستعينة بما لديها من قدرات تبدو غير عادية فى العالم المادي.

ومن النماذج المروية فى أدب الصوفية:

- إن التستري كان يمشي على سطح الماء ولا تبتل قدمه.
- وابن العريف كان يمشي على الماء.
- والصنهاجي كان يمشي على الماء.
- والمليجي كان قد مشى على الماء.
- افترش أحدهم سجادة فوق الماء وجلس متربعاً عليها.
- كان اسحق العلوي يصلي فوق الماء.
- وقيل عن إبراهيم بن عصيفير المتوفى ٩٤٢هـ، إنه لا يحتاج إلى مركب، فقد كان يمشي على الماء.
- وشوهد أبو إدريس الخولاني يمشي على ماء دجلة

جهاراً . والناس ينظرون إليه ، فلا تبتل رجله.

- ونقل عن معروف الكرخي قوله:

«إذا هممت بالعبور يجمع لي طرفاها فأعبر» !

- وذات المروية قيلت عن أبي يزيد حين التقت حافتا النهر ، وتحول إلى يابسة ! وروي عن أحد الصوفية أنه نهر دابته فانطلقت فوق ماء دجلة وأتبعها الناس حتى قطعوه.

١١- العيش تحت الماء :

... فغطس وقت أداء صلاة الصبح فى الماء ، ولم يزل تحت الماء حتى وقت الزوال . وعندما نودي لصلاة الظهر خرج من تحت الماء من غير أن يبتل جسمه مقدار شعره . وصلى فرض الظهر . وعاد ثانية وكان يغطس فى الماء ولا يخرج إلا فى أوقات الصلاة ، وبقي على هذا الحال ، ولم يأكل أثناءها شيئاً ، ولم يجلس ولم يتكلم مع آحد ، إلى أن عاد من حيث أتى .

١٢- عالم الحيوان :

- لدى امرأة من المتعبدات شاة تحلب لبناً وعسلاً (الانتقال فى (العجائب) إلي (الغرائب) – يختبئ وراءها عنصر (التحدي) ، وقهر الطبيعة والتفوق على السائد ، المشهور ، المتداول). .

- تكليم الحيوان والحوار مع (إنطاق الحيوان إشارة أخرى إلى محاكاة النموذج النبوي لدى (سليمان) :-

- الحمار.
- الكلب.
- البعير.
- البلبل.
- الضفدع.

قال بعضهم: «كلمني جمل فى طريق (قلة)، حين رأت الجمال والمحامل عليها، وقد مدت أعناقها فى الليل فقلت: «سبحان من يحمل عنها ما هي فيه، فالتفت إلي الجمل فقال لي « قل: جل الله».

فقلت «جل الله»

- روي أن بعضهم كان يضرب رأس الحمار تحته فرفع الحمار رأسه وقال:

«اضرب أو لا تضرب، فإنما تضرب رأسك».

- وعن الشيخ أبي الربيع المالقي أنه قال: « قيض الله تعالى لي طيراً فى بعض الأسفار يبيت يسامرني، فكنت أسمعه الليل كله ينطق « يا قدوس، يا قدوس »، فإذا أصبح صفق بجناحيه قال.

« سبحان الرزاق. . ثم حلّق طائراً».

- أن بعضهم يأتيه طير بمكة ويحادثه (مقاربات نبوية بيّنة)، فلما كان ذات يوم أتاه وقال له: «موعدي وموعدك الشام»، فاجتمع

به بعد ذلك فى الشام.

- أن كثيراً من الأسود والسباع كانت تأتي إلى أبي سهيل التستري، فكان يطعمها، حتى سمي بيته بـ (دار السباع).

- حكاية موت حمار رابعة العدوية:

«يا إلهي إنك دعوتني إلى دارك وأمت حماري فى عرض الطريق، وتركتني وحيدة فى البادية، ولم تنته من هذه المناجاة إلا وتحرك الحمار وقام لساعته، فوضعت رابعة أحمالها عليه، واستأنفت سيرها».

- نسب إلى إبراهيم بن أدهم أنه كان يكلم السباع، فيسمعون له ويطيعون أوامره.

- أسقط إبراهيم بن أدهم أبرة من يده فى النهر، فأشار إلى النهر قائلاً: ردّ إبرتي إليّ ! فأخرجت ألف سمكة رأسها من الماء، وفى فم كل واحدة منها أبرة من ذهب.

قال إبراهيم:

- إني أريد إبرتي عينها.

فخرجت سمكة ضعيفة تمسك بإبرة فى فمها وتقول:

- هذا ما بقي من ملكك يا إبراهيم !

« حكى رجل يُدعى أبو العلاء ابن أبي الفضل:

حضرت يوماً من الأيام مشهد الشيخ سلطان العارفين أبي يزيد، فإذا بعصفور يريد أن يصطاد (نملة)، وكان يسير مسرعاً ليدركها قبل

أن تختفي، فلما بلغ قريباً من القبر انصرف عنها وتركها.

- علمت أنه تركها حرمةً وحشمةً لذلك الشيخ، فتعجبت منه، والله أعلم بالصواب».

- وطبقاً لحكاية أحد مريدي أبي بكر البطائحي، فقد ذكر بأنه رأى أسداً عظيماً يقف بين يدي شيخه (غائية الكرامة فى هذا الموقف (رمزية) وهي كف الأذى، أو الاستئناس وكف الجانب المتوحش فى الحيوان!)، يعفر خديه من التراب كالمخاطب له، وكأن الشيخ البطائحي يرد عليه.

وحين سأله مريده: ما قلت للأسد؟!

قال البطائحي: قال لي الأسد منذ ثلاثة أيام وأنا لم أذق طعاماً، وقد أخذ بي الجوع ».

- ونسب إلى إبراهيم بن عصيفير أنه كان يأتي البلد ويجوب الأسواق راكباً الذئب أو الضبع.

تعليق:

باستثناء ظاهرة استئناس الحيوانات، فإن عموم المرويات الأخرى أو ما يسمى بـ (الكرامات) يقع خارج دائرة الباراسايكولوجيا، أو على أقل تقدير يمكن وضعها فى منزلة الميثولوجيا أو التوهمات الذاتية وبدرجة أخف وطأة « الخيال العلمي

وفى أمر ترويض الحيوانات والتعامل معها، فثمة رجل يدعى فلاديمير ليونيدوفيتش دوروف كان من أشهر مروضي الحيوانات المتوحشة فى الاتحاد السوفيتي، الذي تمكن من نقل أفكار

الإنسان إلى الحيوان، وقد قام خلال عامي ٢٣ – ١٩٢٤ بإجراء عشرة آلاف تجربة تحت إشراف خبراء ومحكمين، استطاع بما لا يقبل الشك أن ينقل إلى (الحيوان) أوامره، كأن يجعلها تلتقط شيئاً وتحضره إليه. (يقدم (السيرك) الروسي الكثير من الوقائع العيانية عبر عروضه الباهرة عن مثل هذه الظواهر التي تتم من خلال الإعداد والتدريب).

وقد جرى تقويم هذه التجارب من وجهة النظر الإحصائية، فجاءت النتائج الإيجابية ضد الصدفة بنسبة ١٦ إلى عشرة ملايين، وبمنطق علم الإحصاء تؤكد هذه النتيجة قدرة الإنسان على نقل أفكاره إلى الحيوان.

١٣- استحضار الطعام والشراب:

- استحضار الطعام والشراب، كثيرة وشائعة، فثمة من يستحضر ماءً، وآخر يستدعي طعام الصيف فى الشتاء، وبالعكس، وذلك كله لحظة ما يشاء وبقدر ما يريد، وهذا بركات الخياط الذي « كان إذا قدموا له لحم الضأن واشتهى لحم حمام ينقلب فى الحال حماماً».

- روي عن إبراهيم ابن أدهم الموقف الآتي:

« فبينما أنا فى البادية، إذا برجل يسير، ليس معه إناء ولا زاد، فلما أمسى، وصلى المغرب، حرك شفتيه بكلام لم أفهمه، فإذا بإناء فيه شراب، فأكلت وشربت، وكنت معه على هذا أياماً، وعلمني اسم الله الأعظم».

- ذكر آن إبراهيم المعروف بـ (مرشد)، كان تأتيه الدنيا كل ليلة برغيف.

- نسب إلى محمد بن عبد الله الدويلة، أنه أحضر لأهله ماءً من البرية حين تعرضوا لخطر الموت جراء العطش.

ويدعي مفسرو التصوف أن الكرامات الماورائية، أو الفعاليات ذات الطابع (الكلي المطلق) حيث يصبح العارف على مقربة من (الحق)، فيصير إلى جواره. وهو ما يصطلح عليه بـ (مقام القربة)، كونه الوسيلة التي يرتقي عبرها الواصل إلى الحقائق الإلهية، والأسرار والغيبيات الكونية وما وراء العالم المادي، ومن ثم يصبح بمقدوره السيطرة الكاملة على الدائرة الفيزيائية فيتحكم بقوانينها ويسيطر على حتمياتها الطبيعية ويطفيء فعلها، فتكف عن الحركة. عندئذ تصبح فعاليات الولي إرادة كلية مهيمنة تمتلك قدرة الخلق والإيجاد وإنزال الموت والعدم، أي أنها قادرة على النقيضين الحياة والموت وإنفاذ مشيئتها سلباً وإيجاباً فى الموجودات الكونية صعوداً فى سلم مفتوح على المطلق لا تنتهي درجاته الخارقة، بعد أن منح الصوفى نفسه دوراً (إلهياً)، أو محاكياً لقدراته من حيث إحاطته الكلية بالوجود وسيطرته على حركة الكائنات، وطبقاً للنص المنسوب إلى أبي بكر الشبلي: « ما من شيء ثابت أو متحرك، حتى وأن دبت نملة سوداء على صخرة صماء فى ليلة ظلماء لعلمت بها، ولو لم أعلم بها لقلت أنه محكور بي».

وإذن فهو من وراء كل شيء محيط. ولعل أوطأ ما وصل إليه أحد شيوخهم من الشطح زعمه: « أنا النقطة التي تحت الباء ». أي أنه قوام كل شيء، فكما أن الباء قوامها بهذه النقطة التي تحتها كذلك الوجود كله إنما قيامه وجوهره بواسطة هذا الرجل!!

المبحث الرابع

التصوف والباراسايكولوجي

منطق التناقض وحدود التماثلات

١- الخلاصة :

أ- إن الكرامات الصوفية شانها ، شأن الرؤى الميتافيزيقية لم تنل تحققاً أو أثباتا علمياً ، بسبب تعاليها على الدائرة الحسية وانفصالها عن المشاهد والبراهين التجريبية ، العامة. باستثناء بعض التظاهرات العيانية الجزئية (نحو تحمل الأذى دون ألم كما يحدث فى ظاهرة ضرب الحراب والسيوف والرصاص وبعض الرياضات الروحية الأخرى، كاليوغا والتأمل المتعالي). والجوهر الذي تقوم عليه الكرامة لدى أصحابها هو (الإيمان القلبي) المطلق (يقول الصوفية الدليل على ثبوت الكرامة وجوه عديدة منها: أولاً: الشيوع والتداول. ثانياً: قصة مريم، ثالثاً: أصحاب الكهف، رابعاً: التمسك بقصص شتى مثل قصة (آصف بن برخيا) مع النبي سليمان فى حمل عرش بلقيس إليه قبل ارتداد إليه طرفه. خامساً: ما وهبه الله للعلماء والأولياء من العلوم وما صبروا عليه من المجاهدات والرياضات، والدعوة إلى الحق والصبر على أنواع الأذى، وعزوف أنفسهم عن لذّات الدنيا ، مع كفاية عقولهم وذكائهم وفطنتهم وما حبب إليهم من الدأب فى العلوم وكدّ النفس فى تحصيلها ، بحيث إذا تأمل المتأمل ما أعطاهم الله منها عرف أنه أعظم من إعطائه بعض عبيده، كسرة خبز فى أرض منقطعة، أو شربة ماء فى مفازة ونحوهما مما يعد كرامة . وقد يكون للأولياء أنواع أخرى من الكرامات:

- كسماع الهواتف من الهواء،
- النداء من بواطنهم،
- تطوى لهم الأرض.
- يعلمون الحوادث قبل تكوينها .

والجملة: فإن كرامات الصالحين والأولياء تتمة معجزات النبي ﷺ المستمرة، لأن بهم تنقضي حوائج العباد ، وببركتهم يدفع البلاء عن البلاد ، وبدعائهم تنزل الرحمة. وبوجودهم

تصرف النقمة (النبهاني. مصدر سابق، ص٣٤ – ٣٧.) ومثل هذا الإيمان هو الذي يعبر عن عالم الصوفية بكامل خطوطه وتفاصيله، فالتجربة الذاتية المليئة بالرموز والإشارات والرؤى الجوانية، هي الرصيد الأول والنهائي للصوفي.

وخلاصة ما يعتقده الصوفي أن هناك عالماً روحياً غير محسوس وراء هذا العالم المرئي، وهو ذلك العالم الذي لا نصل إليه عبر طرق المعرفة التقليدية (الحس، العقل)، وإنما يمكن الاقتراب من رحابه عن طريق المعرفة القلبية (الإلهام)، وطبقاً لرأي الصوفية فإن الاتصال بمثل هذا العالم مختص بالأصفياء، ومن أختارهم الحق، وهم أولياء الله، ويسير كثير من الناس نحو ذلك العالم، فيما لا يرتقي إليه إلا القليل منهم.

فالصوفية هم الفئة المختارة من المسلمين، والأولياء هم المصطفون من الصوفية، "فإذا استقامت النفس على الواجب، وصلحت طباعها وتأدبت بآداب الله عز وجل من زخم جوارحها، وحفظ أطرافها، وجمع حواسها، سهل عليه (الإنسان) إصلاح أخلاقها، وتطهير الظاهر منها، والفراغ مما لها، وعزوفها عن الدنيا وإعراضها عنها، فعند ذلك يمكن العبد مراقبة الخواطر، وتطهير السرائر، وهذا هو علم المعرفة".

وثمة وراء هذا العلم، علوم الخواطر وعلوم المشاهدات والمكاشفات، وهي التي تختص بعلم الإشارة، وهو العلم الذي تفرد

به الصوفية، دون غيرهم.

ب- إذا كانت الظاهرة الباراسيكولوجية، فى معظم خطوطها العامة لا تزال عرضة للجدل المفتوح، فإن ثمة ثلاث طرق يمكن من خلالها فقط أن تنقل ظواهر الإدراك فوق الحسي إلى قائمة العلوم السائدة:

الطريقة الأولى: الإثبات التجريبي المتماسك القابل للتكرار اعتماداً على الوسائل والطرق الإحصائية ذات الدلالة ضمن منهجية البحث العلمي الرصين.

الطريقة الثانية: تطوير الفرضيات والقوانين ذات المستوى الواطئ والمتداولة حالياً لتفسير الظواهر الباراسيكولوجية بضوء المتوفر فى منهجية العلوم السائدة على اختلاف تخصصاتها، إلى نظرية علمية موحدة ترتقي فيها جميع هذه الفرضيات والقوانين إلى المستوى الذي تخضع فيه إلى ثنائية الملاحظة والتجريب على حد سواء.

الطريقة الثالثة: هي المتبعة فى الباراسايكولوجيا آي أن تطبيقات ظواهر الإدراك فوق الحسي يمكن أن تجد حلاً للمشاكل والمعضلات التي تعترض طريقة الفضيلة والإنسانية وبشكل فاعل وإيجابي.

ج – فى ضوء ما تقدم فإن الحدود الفاصلة بين الكرامات وظواهر الإدراك فوق الحسي تبدو متوازية، فإن احداهما تختلف عن الأخرى، فيما نجد بأن بعض الإشارات الصوفية، كانت فى مظهرها المباشر تعبيراً باراسيكولوجيا كاملاً، وأن المجاهدة

والتدريب ووسائل التصفية الوجدانية الأخرى كانت سبباً في إتيان بعض الكرامات، مما يندرج تحت مصطلح " ظواهر الإدراك فوق الحسي" وإذا كان من يتمتع بمثل هذه القدرة في الباراسايكولوجي، لا يجد أو لا يمتلك تفسيراً لما يحدث لديه من قدرات فشأنه في ذلك شأن الصوفي الذي يعلق كراماته بالقدرة الإلهية، والتمكين الإلهي، دون أن يقدم أسباب حدوث الكرامة أو كيفية إتيانها وظهورها على يديه دون سواه.

د – ولئن عدت من الناحية الافتراضية بعض الكرامات ظواهر نفسية فائقة، فإن ما أطلقنا على تسميته (الكرامات الميتافيزيقية) يضعها في رحاب الأفق الأعلى (الغيب المطلق)، أو على أقل تقدير في أفق المرويات المستحيلة، إذْ أن معظم المرويات تذكرنا بعالم الخيال الإنساني المفتوح، الذي تقاس حركته العامة بمعدلات سرعة الضوء ويظهر (الصوفي) بمثابة رجل خارق (سوبرمان) يعتمد مبدأ تحويل المستحيلات الميتافيزيقية إلى ممكنات يومية، وفي متناول اليد وعلى الفور وحين الطلب.

٢- منطق الاختلاف " بين الكرامات وظواهر الإدراك فوق الحسي" :

يؤكد المتصوفة بأنهم (واصلون)، وأن تجلياتهم تجعلهم في رحاب العالم العلوي (ما وراء الطبيعة)، فوق العالم المادي للفيزياء، بل أن بعضهم عرج إلى سدرة المنتهى، فزعم أنه أصبح في مقام قاب

قوسين آو آدنى ... مما يمكنه من السيطرة والإشراف على الظواهر الفيزيائية فيعلق آو يلغي كل أو بعض قوانينها، بعد أن توفر له العلم القدسي (اللدني) فاستودعت بين يديه الأسرار كافة، ويصبح سر الوجود بمثابة (الزر السحري) الذي ما أن يضغط عليه حتى يحقق كل ما يريد وما يشاء وطبقاً لـ (مقام التمكين)، فإن الكرامات المفترضة تفوق ظواهر الإدراك فوق الحسي كماً وكيفاً، فالوالي الواصل يبدع الأشياء ويعيد ترتيب نظامها كيفما يشاء، وتصل فعالياته إلى حد المطلقات حيث الخروج ليس فقط على تصميمات الواقع، بل إلى ما وراء الميتافيزياء وما وراء الباراسيكولوجيا فهو يحيي ويميت ويخلق ويعيد مما يجعل فعله (معجزاً) فينفصل عن عالم النسبية، ويتخطى محددات المسافة، الزمن، الأكوان، الإنسان .. فيصبح هو و (المطلق) فى مقام واحد، فيما يتعين منهج الاختلاف فى الأمور الآتية:

أ – المنهج:

أولاً: إن المنهج الصوفي، يتحقق من خلال ارتقاء مجموعة المراحل والمقامات، التي يقطعها السالك أو المريد من مقام (البدنية) إلى مقام (الروحية) للوصول إلى غايته، والتي تبدأ بـ (الإرادة)، وتنتهي بـ (المحو والفناء) وعند هذه النقطة يتجلى الجوهر الميتافيزيائي الخالص.

ثانياً: التصوف تجربة ذاتية وحالة وجدانية يتذوق فيها السالكون لذة القرب الروحي من الله واجب الوجود وخالق الوجود، وهي حالة يشرق فيها قبس من نور الهداية الربانية على قلوبهم فيهبها اليقين.

ب- الرمزية:

تنتشر الرمزية فى أبجدية التصوف، وفى (مفاهيم ومصطلحات) اللغة الصوفية ذاتها، وأن كثيراً مما يسمى بـ (الكرامات) يتسم بطابع رمزي محض يخضع له التصوف ذاته.

ج- الجوانية:

الكرامة فعل جواني (باطني)، تبتدئ خطواتها الأولى من المقولة السقراطية الشهيرة (أعرف نفسك) وتمثل المقام الأول للعارفين، ومن خلال هذه المعرفة الجوانية يبدأ المعراج الروحي إلى عالم (الكليات والكمالات).

د- المطلقات والعلم:

تسود معظم الكرامات سمة المطلقات، والرؤى الذاتية، فى مقابل (تدفق الملاحظات التجريبية والبيانات الإحصائية الأولية للباراسيكولوجيا) مما يضع بين الاثنين هوة عميقة، هي أشبه ما تكون بالفاصلة بين المثال التجريدي والظلال الواقعية.

هـ - الفعل:

تصدر (الكرامة) عن إيمان مسبق بـ (الفعل) وبـ (التمكين الإلهي) فيما تصدر الظاهرة الفائقة على سبيل الفعل الإرادي، والاستثمار الذاتي المنفصل والمفارق للدائرة الميتافيزيائية.

و- محاكاة المعجزات:

محاكاة المعجزات التي خُصّ بها الأنبياء ، تحت مفهوم (الكرامات)، التي تظهر على أيدي أقطاب الصوفية ورجالاتهم.

٣- أوجه التماثلات النسبية:

" بين الكرامات وظواهر الإدراك فوق الحسي ":

أ- المبادئ الأولية:

أولاً– التجربة ذاتية: (ذات خصوصية مميزة من إنسان لآخر) وقد لا تشبه إحداها الأخرى.

- الحالات المتغيرة للوعي: الذهول، الغيبوبة trance الاسترخاء، التامل، الجذب.

ثانياً– مغادرة الآنية: (الجزئية) والذوب فى (الكلية).

ثالثاً– الانجذاب: (التركيز) والاتجاه المكثف إلى فكرة محددة بعينها.

رابعاً– الاغتراب النسبي (العزلة) .. الانطوائية .. (عالم ذاتي خاص).

خامساً– سقوط عالم المسافة والزمن.

سادساً – انتفاء الأبعاد والأمكنة.

سابعاً – تخطى الزمن والانفلات من قبضته التقويمية.

فالزمن الصوفى، خارج إدراك الإنسان، حيث يسقط (المكان) فينشأ (الفعل) الفائق، فيعلو الحدث الخارق بالفعل.

ثامناً – تعليق فعالية السببية الكونية.

تاسعاً – كف حركة القوانين العامة (المألوفة حالياً) فى العلم والطبيعة واجتياز التدرج المنطقي.

عاشراً – الانفلات من أسر الحتميات الطبيعية، والارتقاء الذهني إلى الميتافيزياء.

حادي عشر – سيادة منطق التقابل بين (الحرية الذهنية) والإرادة الداخلية وبين حتمية (الظاهرة الخارقة).

ثاني عشر – قد يلتقي الإيمان الديني بالمشاهدات الباراسيكولوجية طبقاً للفرضية القائلة بأن الإدراك فوق الحسي والحركة النفسية هما أجزاء من هذا العالم العلوي (الماورائي) (ثمة من يعتقد بأن الظاهرات النفسية الفائقة مجتمعة أو متفردة لدى إنسان ما، إنما هي: هبة إلهية).

ثالث عشر – ثمة من يعترف بأن الإنسان يمر بمعايشات صوفية فى حالات شبيهة بحالات الغيبوبة (الغشية) تفضي إلى الإدراك فوق الحسي.

رابع عشر – أن أصحاب الظواهر الخارقة وبعض المتصوفة يقرون بأنهم لا يجدون أو يعرفون تفسيراً أو تحليلاً لما يحدث لهم أو ما يقع على أيديهم من كرامات أو ظواهر غير عادية.

ب- التماثلات (المفاهيم والمصطلحات):

إتصال: مكاشفات القلوب ومشاهدات الأسرار يماثل مصطلح (الرؤية الذهنية).

إلهام: (الفيض فى الروح والقلب)– أحد مصادر الإدراك فوق الحسي.

بصيرة: (قوة منورة ترى بها حقائق الأشياء وبواطنها وهي بمثابة البصر للنفس) – الرؤية الذهنية والرؤى التنبؤية.

- استجلاء المجهولات SCRYING

الرؤيا: الأحلام التنبؤية.

الشاهد: الخاطر (المحقق)

الطب الروحاني: المعالجات الروحانية (القدرة على الاستشفاء)

عين اليقين: معطيات المشاهدات النفسية فوق الحسية.

عيد: ما يعود على القلب من تجليات نحو الكشف والتشوفات المستقبلية والاستبصار والجلاء الحسي.

فراسة: معاينة الغيب (الإدراك التنبؤي)

قرب: زوال الصفات البشرية وظهور التجليات الروحية – الرؤى التنبؤية.

قربه: تمكن الولي من تمكن الله (مقاربة الحق)، ظاهرة التحريك النفسي.

قطب: (الغوث) مقاربة (الرجل الخارق) .

كشف: الإطلاع على ما وراء الحجب من المعاني الغيبية

- الجلاء الحسي (الاستشفاف) .
- اقتفاء الأثر.
- معرفة الماضي والمستقبل.
- استحضار الأشياء

لب: العقل المنور بنور القدس الصافى: إدراك الحقائق الميتافيزيائية / الإدراك التنبؤي (الجلاء الحسي).

لحظ: إشارة إلى ملاحظة صور اليقين فى عالم الغيوب (الإدراك التنبؤي).

لطيفة: إشارة تلوح فى الفهم وتلمع فى الذهن فتسقط أمامه الحجب، فيصل إلى الأسرار، الجلاء الحسي.

لوامع: الاستبصار العيني (الجلاء البصري).

لوائح: التجليات الذهنية.

محبة: الذوب فى الكلية (جزء من الوجود)

المعرفة: (من عرف نفسه ..) المشاهدات والكشف .

الإنسان الكامل: (خليفة الله)– الانسان الخارق.

مكاشفات: مكاشفات العيون بالأبصار ومكاشفات القلوب بالاتصال/ الجلاء الحسي، الرؤية الذهنية.

منصة: تجلي الأعراس (كشوف نفسية فائقة).

وارد: كل ما يرد إلى القلب من المعاني الماورائية/ الغيبية (الإدراك التنبؤي).

٤– التماثلات (نماذج من الكرامات والظواهر النفسية الفائقة):

أ – التخاطر:

- تواصل الأفكار.
- الهاتف (الهواتف).
- الإلهام.

النماذج/ الجنيد البغدادي، إبراهيم بن أدهم، أبو بكر الشبلي، الرفاعي/ قصة السهروردي.

ب – الإدراك التنبؤي:

- استباق الأحداث.
- الرؤية المستقبلية.
- الاستقصاءات الذهنية لظواهر تقع وراء الزمن الحاضر.

- الإدراك المسبق (الكشف).
- (يرى العارف بنور اليقين ما غاب على بصر المخلوقات من أسرار).
- الإنـذارات المبكـرة (تحديـد زمـان ومكـان ونوعيـة الكوارث قبل وقوعها).
- قصة الرجل الصوفى الذي مات (حدد موعد وفاته ...)

ج – استحضار الأشياء :

- استدعاء الأشياء من مكان بعيد فى لحظة.
- (الرجل هو الذي يكون جالساً وتجيئه الأشياء).
- ذهب أبو يزيد إلى مكة، فلما دخل المدينة جاءت مكة إلى المدينة فطافت حول أبي يزيد.
- استحضار الطعام فى البوادي والصحاري أو استحضار الفواكه فى غير موسمها، فى أي وقت أو مكان.
- يأتيه رغيف خبز كل ليلة.

د – ظاهرة تحريك الأشياء :

هيمنة الذهن على المادة:

- أبو ذنون المصري (يرجع كرامة تحريك الأشياء إلى مكانة الصوفى ومقامه عند الله بحيث تطيعه الأشياء).
- ذو النون أمر سريراً أن يدور فى زوايا البيت الأربع ففعل
- أبو يزيد: (كنت أطوف حول بيت الله، وما أن دنوت حتى رأيت البيتِ يطوف حولي).

- إخوان التجريد آطاعتهم الهيولي فلا يستبعد منهم آن يحدث بدعائهم:

- زلزال - خسف - استسقاء

هـ - الرؤى التنبؤية:

الرؤيا مدرك يقع فى دائرة الغيب ثلاث رؤى:

- الإلهية: صريحة لا تحتاج إلى تأويل.
- ملكية: صادقة تفتقر إلى التعبير.
- شيطانية: أضغاث أحلام.

الجنيد: كنت لا أرى فى النوم شيئاً إلا رأيته فى اليقظة.

أبو بكر البطائحي:

كان نائماً فرأى فى نومه أن أبا بكر الصديق ألبسه ثوباً وطاقية وحين استيقظ وجدها عليه.

و- الرؤيا الذهنية:

وهي القدرة على رؤية الموجودات الكونية خارج نطاق البصر التقليدي، أي ما وراء الحواجز وعلى مختلف الأبعاد.

- ويعني الجلاء الحسي: القدرة على الاستشعار بالأشياء البعيدة دون استخدام الحواس (أن الإنسان إذا صفا قلبه، عرف ربه، فإنه يسمع ما لا إذن سمعت ويرى ما لا عين رأت

ولا خطر على قلب بشر– من نماذجها:

- محمد بن عبد الرحمن السقاف: " يرى الكعبة المكرمة وهو في حضرموت ".

ز– العلاج الروحي: (القدرة على الاستشفاء)

المفهوم (شمولي مطلق) كلي:

طرق العلاج:

- اللمسة المباشرة .
- النظر إلى وجوه المرضى.
- التنفس نحوه.
- وضع اليد على موضع العلة.
- تناول الماء من يد الصوفي.

أنواعها: الأمراض المستعصية (لا يرجى شفاؤها):

- العمى
- الكساح
- الخرس
- .... إلخ

ح – ظاهرة تحمل الإيذاء الجسدي دون ألم :

النماذج :

- المشي على النار.
- صب الزيت المغلي (شديد الغليان) على الرأس.
- الجلوس فى تنور موقد.
- إدخال السيوف والحراب فى الجسم.
- الضرب بالرصاص.
- احتساء السوائل السامة.

قائمة

المصادر والمراجع

المصادر الأساسية

١- ابن خلدون: (مقدمة ابن خلدون) دار الشعب/ القاهرة (دون تاريخ) .

٢- ابن سينا: الإشارات والتنبيهات .

الجزء الرابع/ تحقيق الدكتور سليمان دنيا. مطبعة دار المعارف/ القاهرة ١٩٥٨ .

٣- أبو القاسم الرسيّ: « أربع رسائل فى التصوف ». تحقيق الدكتور قاسم السامرائي .

٤- الجرجاني التعريفات: الدار التونسية للنشر ١٩٧١ .

جوهري (الشيخ طنطاوي): الجواهر فى تفسر القرآن الكريم

مطبعة البابي الحلبي. مصر ١٣٥٠ هـ .

٥- الحافظ النووي: بستان العارفين. المطبعة المنيرة. القاهرة ١٣٤٨ هـ .

٦- الحلاج: الطواسين. تحقيق: عبد الحفيظ بن محمد مدني/ مكتبة الجندي/ القاهرة ١٩٧٠ .

٧- الراوي: الشيخ إبراهيم الرفاعي: بلوغ الأدب فى ترجمة

الشيخ السيد رجب وذريته أهل الحب. بيروت ١٨٥٠ .

٨- الرفاعي (السيد أحمد): الحكم. نشر علي أبو الفضل الواسطي. المطبعة السلفية/ القاهرة ١٣٥٦ هـ .

٩- السهروردي: اللمحات. حققه وقدم له: أميل معلوف .

١٠- الشعراني: لواقح الأنوار فى طبقات الأخيار. المطبعة المنيرية ١٣٤٨ هـ .

١١- عبد الله اليافعي: روض الرياحين فى حكايات الصالحين القاهرة ١٣٢٦ هـ .

١٢- القاشاني: اصطلاحات الصوفية. القاهرة ١٩٨١ .

١٣- القاضي عبد الجبار المعتزلي: المغنى (التنبؤات والمعجزات). الدار المصرية للتألف والنشر/ القاهرة ١٩٦٥ .

١٤- الكلا باذي: التعرف على مذهب أهل التصوف. القاهرة ١٩٣٣ .

١٥- النفري: محمد بن عبد الجبار بن الحسن: المواقف والمخاطبات. تحقيق: أرثر يوحنا أبري. مطبعة دار الكتب المصرية/ القاهرة ١٩٣٤ .

١٦- يوسف النبهاني: جامع كرامات الأولياء. مطبعة الخانجي/ القاهرة ١٣٥٢ هـ .

المراجع

١- د. أبو العلا عفيفي: الملامتية والصوفية وأهل الفتوة.

٢- إحسان سركيس: الثنائية فى ألف ليلة وليلة. دار الطليعة. بيروت ١٩٧٩.

٣- د. أحمد توفيق عياد: التصوف الإسلامي (تأريخه ومدارسه وطبيعته وأثره). مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٠.

٤- أرثر كويستلر: جذور المصادفة. ترجمة: فوزية ناجي .

٥- إنايد هوفمان: تطوير المهارات النفسية. ترجمة فوزية ناجي الدفاعي – وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٨.

٦- د. أرثر فندلاي: على حافة العالم الأثري. ترجمة: أحمد فهمي أبو الخير. مكتبة النهضة المصرية (الطبعة الثالثة) ١٩٥٤.

٧- جان باري: الباراسايكولوجيا الجديدة. . غداً. ترجمة: سعد هادي سليمان/ مراجعة نزار صبري- وزارة الثقافة والإعلام. بغداد ١٩٨٧.

٨- جمال سرحان: المسامرة والمنادمة عند العرب (حتى القرن الرابع الهجري) دار الوحدة/ بيروت ١٩٨١.

٩- خليل أحمد خليل: مضمون الأسطورة فى الفكر العربي. دار الطليعة/ بيروت/ ط٢ / ١٩٨٠.

١٠- راجي عنايت: أحلام اليوم حقائق الغد. دار الشروق/ بيروت / ١٩٨٤.

١١- راجي عنايت: معجزات العلاج. دار الشروق/ بيروت الطبعة الخامسة/ ١٩٩٥.

١٢- رونالد م. ماكري: حروب العقل. ترجمة سمير محمد مراجعة سمير التعمة، وزارة الثقافة والإعلام/ الدار العربية/ بغداد ١٩٨٨.

١٣- د. رؤوف عبيد: آفاق جديدة فى الباراسايكولوجيا. عالم الكتب/ القاهرة ١٩٩٠.

١٤- دائرة المعارف الإسلامية: دار الشعب. القاهرة.

١٥- ريكان إبراهيم: مقدمة فى الباراسيكولوجي (علم القوى الخارقة). دار الشؤون الثقافية/ بغداد ١٩٨٦.

١٦- سعاد الحكيم: المعجم الصوفي. بيروت ١٩٨١.

١٧- سامي أحمد الموصلي: الأسئلة الخالدة. مطبعة التعليم العالي ١٩٨٩.

١٨- سعيد إسماعيل: الإنسان والسحر. دار ازال/ بيروت.

١٩- سلمان يعقوب العبيدي: تصنيف ظواهر الباراسايكولوجي مجلة علوم: بغداد، العدد ١٩٧٩/٩٣.

نظرة تحليلية فى جدلية العلاقة بين مفاهيم الفيزياء والباراسايكولوجي، مجلة علوم، بغداد، العدد ١٩٩٩/٠٢.

هل يستطيع العلم تفسير الظواهر الباراسايكولوجية، نشرة الباراسايكولوجي والحياة/ جمعية الباراسايكولوجي الطرقية، العدد الثاني/١٩٩٢.

٢٠- د. الطبلاوي محمود سعد: التصوف فى تراث ابن تيمية. الهيئة العامة للكتاب/ القاهرة ١٩٨٤.

٢١- عالم ما فوق الطبيعة: إعداد دار الرشيد للتأليف والترجمة. مؤسسة الإيمان/ بيروت/ ط٢/ ١٩٨٩.

٢٢- عبد الحميد يونس: الحكايات الشعبية. دار الكتاب العربي/ القاهرة ١٩٦٨.

٢٣- عبد الرحمن بدوي: شطحات الصوفية (الجزء الأول). مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٩.

٢٤- عبد الرحمن بدوي: تاريخ التصوف الإسلامي. الكويت ١٩٧٥.

٢٥- د. عبد الستار الراوي: العقل والحرية. بيروت ١٩٨٠.

٢٦- عبد السلام الشاذلي: شذرات الشاذلي. القاهرة ١٣٥٦هـ.

٢٧- عبد المحسن صالح- الإنسان بين الخرافة والعلم. سلسلة/ المعرفة. الكويت ١٩٩٣.

٢٨- د. عرفان عبد الحميد: نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها. المكتب الإسلامي/ بيروت ١٩٧٤.

٢٩- د. علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام/

الجزء الثالث/ (الزهد والتصوف). دار المعارف/ مصر ١٩٦٩.

٣٠- د. **فخري الدباغ**: خطوات على قاع المحيط(دراسات فى علم النفس). المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ بيروت ١٩٧٩.

٣١- **قاسم غني**: تاريخ التصوف فى الإسلام. ترجمة: صادق نشأت – مكتبة النهضة المصرية/ القاهرة ١٩٧٠.

٣٢- د. **كامل مصطفى الشيبي**: الصلة بين التصوف والتشيع. دار الأندلس/ الطبعة الثالثة ١٩٧٢.

٣٣- د.**كامل مصطفى الشيبي**: ديوان أبي بكر الشلبي. بغداد ١٩٦٧.

٣٤- د. **كامل مصطفى الشيبي**: شرح ديوان الحلاج. مكتبة النهضة بغداد ١٩٧٤.

٣٥- **كولن ويلسن**: الإنسان وقواه الخفية. بيروت ١٩٨٨.

٣٦- **مارتن ايبون**: تاريخ الباراسايكولوجي، نشرة الباراسايكولوجي/ وزارة الثقافة والإعلام بغداد الجزء الرابع ١٩٨١.

٣٧- **مايكل**. أي، ثالبورن – معجم المصطلحات المستعملة فى الباراسايكولوجي. ترجمة وتبذيل: سلمان يعقوب العبيدي. المراجعة العلمية: د. الحارث عبد الحميد. بغداد ١٩٩٣.

٣٨- **محمد العزب موسى**: حقائق وغرائب. مكتبة مدبولي/

القاهرة ١٩٨٥.

٣٩- **محمد علي أبو ريان**: أصول الفلسفة الاشراقية. دار الطلبة العرب / بيروت ١٩٦٩.

٤٠- **محمود سليمان الحوت**: فى طريق الميثولوجيا عند العرب. دار النهار / الطبعة الثانية / بيروت ١٩٧٩.

٤١- **مصطفى محمود**: الأحلام. دار النهضة العربية ١٩٧١.

٤٢- **مصطفى محمد الطير**: هادي الآرواح (دراسة تحليلية للغيبيات وخوارق العادات) مجمع البحوث الإسلامية / القاهرة.

٤٣- **المعجم الفلسفي**: مجمع اللغة العربية. القاهرة/ الطبعة الأولى ١٩٧٩.

٤٤- **معن زيادة وآخرون**: الموسوعة الفلسفية العربية. معهد الإنماء العربي/ بيروت/ الطبعة الأولى ١٩٨٦.

٤٥- **الموسوعة الفلسفية العربية**. معهد الإنماء العربي. بيروت/ ج١ ١٩٨١.

٤٦- **ميلان ريزل**: تدريب الإدراك الحسي الفائق / ترجمة إقبال أيوب. وزارة الثقافة والإعلام بغداد ١٩٨٨.

٤٧- **نذير العظمه**: المعراج والرمز الصوفي. دار الباحث بيروت/ ١٩٨٢.

٤٨- **هـ. ج. ويلز**: رحلة فى دنيا المستقبل. ترجمة الدكتور نظمي

لوقا / دار الهلال القاهرة ١٩٧٤.

٤٩- **هنري كرايس & وليم ديك**: الباراسايكولوجي. (سر من أسرار الدولة). ترجمة منير يوسف زينل / وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٩.

الفهرست

من مطبوعات الدار

١. فلسفة العقل - د/ عبد الستار الراوى
٢. ثورة العقل - د/ عبد الستار الراوى
٣. العقل والحرية - د/ عبد الستار الراوى
٤. معجزات الشفاء فى الثوم والبصل والعسل والحبة السوداء - محمد محمود عبد الله
٥. أهل البيت - سليمان سامى محمود
٦. أهل العبادة - سليمان سامى محمود
٧. طبقات الأولياء - سليمان سامى محمود
٨. لآلئ محبة الرسول - سليمان سامى محمود
٩. النور الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى - سليمان سامى محمود
١٠. الحب الإلهى - سليمان سامى محمود
١١. دعاء الأنبياء والرسل - سليمان سامى محمود

261
57
Bibliotheca Alexandrina
06793320